مسار صناعة الطيران عند مفترق التوترات العالمية

ص10

«البوز» و«روتيني» فيلمان عن انتشار ثقافة السوشيال ميديا وسلبياتها

ص15

انفتاح تجاري عراقي على سوريا يكسر الجمود السياسي

ص6

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الجمعة 2025/06/13

17 ذو الحجة 1446

السنة 48 العدد 13513

Friday 13/06/2025

48th Year, Issue 13513

تصريحات متناقضة من ترامب على استهداف إيران: يحدث ولا يحدث

خسارة حزب الله وسوريا تقيد حدود التحرك الإيراني رغم التلويح بالرد القوي

واشنطن - يرسل الرئيس الأميركي دونالد ترامب بإشارات متناقضة بشأن الهجوم الإسرائيلي على إيران، فهو يقول إنه يوجد احتمال نشوب صراع كبير وقد يحدث شيء قريبا، وفي نفس الوقت يستبعد ذلك ويتبنى ألا يتدخل الإسرائيليون لتنفيذ هجومهم.

ويهدف هذا التناقض في التصريحات إلى إبلاغ رسالة واضحة لإيران مفادها أن كل شيء وارد، وأن الأمر مرتبط بموقفها، فإن قدمت التنازلات التي يطلبها الأميركيون فلن يحدث شيء، وإذا استمرت في المناورة فإن الهجوم شبه مؤكد وسيدمر كل شيء. لكنّ الإيرانيين يقولون إنهم جاهزون للرد.

ويمكن أن يساعد أسلوب الهروب إلى الأمام الذي تعتمده إيران الإسرائيليين على استغلال الفرصة وتوجيه ضربة قوية لم يتسن لهم تنفيذها بالحجم الذي كانوا يخططون له في السابق بسبب رفض إدارة الرئيس الأميركي السابق جو بايدن، لكن الوضع الآن مختلف وملائم في وجود ترامب الرئيس الحليف لحكومة بنيامين نتنياهو، والذي يقف معها على نفس الخط في معاداة إيران واستهداف برنامجها النووي.

وإذا كان الظرف ملائما لإسرائيل، فإنه ليس كذلك بالنسبة إلى طهران التي خسرت الكثير من أوراقها الميدانية وخاصة هزيمة حزب الله ومقتل رجلها الأهم والأبرز في الإقليم حسن نصرالله، الذي كان يزعج الإسرائيليين والأميركيين بحسن إدارة المعركة وبخطاب له جاذبية في الاستقطاب.

> الهروب إلى الأمام الذي تعتمده إيران قد يساعد الإسرائيليين على توجيه ضربة قوية ومختلفة عما حصل في السابق

وخسر الإيرانيون سوريا باعتبارها ميدانا آخر متقدما لمناكفة إسرائيل وإلهائها ومنعها من نقل المعركة إلى الأراضي الإيرانية، ولم يبق إلا العراق الذي تميل غالبية نخبه إلى النأي بالنفس عن الحرب.

ولا يعرف إن كان ما يزال بإمكان إيران أن تنقل الحرب إلى أراضي العراق بدلا من أراضيها في وقت يتزامن مع انكفاء الفصائل العراقية الحليفة لها وتواري قياداتها وتلطيف خطابها لقناعتها بأن ضربات إسرائيلية أو أميركية مفاجئة ودقيقة يمكن أن تذهب بالمكاسب التي حُقّقت منذ غزو 2003.

كما أن تلويح إيران بضرب القواعد الأميركية في المنطقة أمر بات صعبا لأن ذلك يجعلها في مواجهة مع دول الإقليم، خاصة الخليجيين الذين تحسنت العلاقة معهم وفتحت معهم القيادة الإيرانية قنوات الحوار لفك عزلتها، وأيّ خطوة عكسية ستعني خسارة ما تحقق من تقارب.

لكن المشكلة الأكبر في الرد الإيراني تكمن في مدى قدرة قواتها على تنفيذ هجمات مؤلمة ضد مواقع إسرائيلية أو أميركية خاصة بعد فشل محاولات سابقة.

وفي أبريل من العام الماضي أطلقت إيران نحو 100 صاروخ باليستي متوسط المدى وأكثر من 30 صاروخ كروز وما لا يقل عن 150 مسيّرة هجومية باتجاه إسرائيل، لكن أغلب الأسلحة سقطت بعيدا عن المجال الجوي الإسرائيلي بمساعدة الحلفاء وبالأساس الولايات المتحدة.

وأعطى الهجوم الفاشل، كما الهجوم الذي جرى في أكتوبر من نفس العام، صورة أكثر دقة عن محدودية فاعلية الأسلحة الإيرانية وفي الوقت نفسه كشف عن أن إسرائيل هي صاحبة المبادرة، خاصة أنها ضربت بقوة مختلف مواقع النفوذ الإيراني في سوريا ولبنان واليمن.

وإلى حد الآن، لا تفيد المؤشرات بأن الهجوم الإسرائيلي وشيك، وهو ورقة يرفعها ترامب للضغط على إيران لتقديم التنازلات الكافية بشأن البرنامج النووي، لكن ما بعد لقاء الأحد في سلطنة عمان يصبح كل شيء واردا إما بزيادة احتمالات الهجوم أو بتلاشيها.

ودعا ترامب الخميس إسرائيل إلى عدم توجيه ضربة إلى إيران، مؤكدا أن واشنطن وطهران قريبتان من التوصل إلى اتفاق نووي.

وقال ترامب للصحافيين قبل يومين من جولة سادسة من المباحثات بين واشنطن وطهران "نحن قريبون إلى حد ما من التوصل إلى اتفاق جيد للغاية،" مضيفا بشأن إسرائيل "لا أريدهم أن يتدخلوا، لأنني أعتقد أن ذلك سينسف الأمر برمّته."

وردا على سؤال بشأن ما إذا كانت إسرائيل ستشنّ ضربة وقال "لا أريد أن أقول إن ذلك وشيك، لكن ذلك يبدو أمرا قابلا للحدوث."

وأعلنت إيران أنها سترد بطريقة "سريعة وغير متوقعة" على إسرائيل والولايات المتحدة في حال تعرضها لأيّ هجوم.

ونقلت القناة الحكومية الإيرانية الناطقة بالإنجليزية "برس تي في"، الخميس، عن مسؤول أمني وصفته بـ"الرفيع" دون الكشف عن اسمه، قوله إن إيران في "أعلى مستويات الاستعداد العسكري" لمواجهة أيّ تهديدات هجومية.

موازين القوى غير متكافئة

وأوضح المسؤول الإيراني أن بلاده سترد بطريقة "سريعة وغير متوقعة" على إسرائيل والولايات المتحدة في حال تعرضها لأيّ هجوم.

وتابع "إيران في أعلى مستوى من الاستعداد العسكري حاليا، وإذا حاولت الولايات المتحدة أو الكيان الصهيوني تنفيذ أيّ عمل عدواني، فستلقيان ردا على حين غرّة."

وأشار المسؤول إلى أن تحركات الولايات المتحدة في المنطقة هي بغرض الدفاع أمام تحذيرات إيران من استهداف مصالحها وقواعدها في حال حدوث أيّ عمل عدواني ضدها.

وشدد على أن "ما يفعله الأميركيون ليس رسالة تهديد ضد إيران بقدر ما هو رد فعل على تهديدات إيران للمصالح الأميركية."

وانتقد الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان، القرار الذي اتخذه مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ضد بلاده.

وفي وقت سابق الخميس، اعتمد مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية مشروع قرار يتهم إيران بعدم التعاون الكافي وعدم التزامها بمسؤولياتها المتعلقة بـ"الإبلاغ عن جميع المواد النووية."

اللوبي المناوئ للخليج يفشل في عرقلة بيع أسلحة أميركية للإمارات وقطر

واشنطن - أفشل مجلس الشيوخ الأميركي يوم الأربعاء قرارين كان من شأنهما أن يعرقلا مبيعات عسكرية تتجاوز قيمتها ثلاثة مليارات دولار لحكومتي قطر والإمارات، في خطوة يقول مراقبون إنها تظهر الوزن الذي أصبح لدول الخليج داخل المؤسسات الأميركية بشكل مكّنه من اختراق اللوبي المناوئ للخليجيين في هذه المؤسسات، والذي كان لسنوات ماضية مؤثرا سلبيا في السياسات الأميركية تجاه منطقة الشرق الأوسط والخليج.

وربط مراقبون إقرار صفقات عسكرية لصالح الإمارات وقطر بالتأثيرات الإيجابية الكبيرة التي خلفتها جولة الرئيس الأميركي دونالد ترامب للخليج ولقاؤه قادة السعودية والإمارات وقطر، وما انتهت إليه الجولة من اتفاقيات استثمارية تظهر حجم النفوذ المستقبلي للخليجيين في الاقتصاد الأميركي.

ونجح ترامب، والتيار الذي يحيط به والداعم لتقوية العلاقة مع دول الخليج، في استثمار نتائج الجولة التاريخية للخليج لهزيمة الديمقراطيين، الذين يريدون علاقة عرجاء بين واشنطن وشركائها الخليجيين، أي الحصول على صفقات كبرى من دون شراكة فعلية في المجالات الحيوية، وخاصة ما تعلق بالدفاع، وهو السبب المباشر لتوتر علاقة دول الخليج بالرئيس السابق جو بايدن والرؤساء الديمقراطيين الذين سبقوه.

ودائما ما كان الديمقراطيون يفتعلون صراعات وأزمات خاصة مع السعودية ويوظفون الكونغرس في الضغط عليها عبر سن قوانين مثل قانون جاستا الذي يجيز مقاضاة السعودية حول اعتداءات 11 سبتمبر 2001، وهي قوانين قادت إلى اهتزاز الثقة بين واشنطن والرياض والعواصم الخليجية عموما، التي تبنت خيار تنويع الشركاء الاقتصاديين والعسكريين حتى لا تضع نفسها تحت رحمه اللوبي المناوئ لها، والنافذ في المؤسسات الأميركية.

وصوّت المجلس بأغلبية 56 صوتا مقابل 39 صوتا ضد النظر في تشريع كان من شأنه أن يعرقل بيع طائرات مسيّرة مسلحة ومعدات مرتبطة بها إلى قطر بقيمة 1.9 مليار دولار. وقد جاء التصويت إلى حد كبير على أساس حزبي، إذ عارض الجمهوريون المحاولات الرامية لوقف عملية البيع فيما أيدها معظم الديمقراطيين.

وصوّت المجلس المؤلف من 100 عضو في وقت لاحق بنفس الهامش 56 مقابل 39 صوتا ضد محاولة لعرقلة بيع طائرات هليكوبتر ومعدات أخرى للإمارات بقيمة 1.6 مليار دولار.

وعشية جولة ترامب الخليجية، أعلن البيت الأبيض أنّ الولايات المتحدة أعطت الضوء الأخضر لبيع الإمارات العربية المتّحدة ستّ طائرات هليكوبتر من طراز شينوك ومعدّات عسكرية أخرى في صفقة تقدّر قيمتها بنحو 1.6 مليار دولار. ومثّل الإعلان شهادة قوية على أن العلاقات الإماراتية – الأميركية راسخة ومتميزة، وتتجاوز مجرد المصالح الاقتصادية لتشمل تعاونا أمنيا وعسكريا وثيقا يخدم استقرار المنطقة.

وقالت وكالة التعاون الأمني الدفاعي الأميركية في بيان إنّ هذه الصفقة "ستساهم في السياسة الخارجية الأميركية والأمن القومي من خلال تعزيز أمن شريك إقليمي مهم."

وأضافت أنّ "دولة الإمارات العربية المتحدة شريك أساسي للولايات المتحدة في تحقيق الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية في الشرق الأوسط."

> دول الخليج أصبحت مركز ثقل جيوسياسي ومالي من الصعب استعداؤه لأن ذلك يقود إلى أضرار مباشرة بمصالح أميركا

ووافقت وزارة الخارجية الأميركية على الصفقة وأخطرت بها وكالة التعاون الأمني الدفاعي التابعة للكونغرس الذي أمامه الآن مهلة ثلاثين يوما لإبداء اعتراضه عليها أو تركها تمرّ.

وبالإضافة إلى طائرات النقل العسكرية الستّ من طراز شينوك –CH 47F التي تصنّعها شركة بوينغ الأميركية، تمّت الموافقة أيضا على برنامج بقيمة 130 مليون دولار لصيانة طائرات مقاتلة من طراز إف – 16.

وتدرك الولايات المتحدة تمام الإدراك الدور الحيوي الذي تلعبه الإمارات في تحقيق الاستقرار الإقليمي ومواجهة قوى التطرف، ولذلك تحرص على تلبية احتياجاتها الدفاعية من الأسلحة والمعدات العسكرية المتطورة.

ووصف مراقبون التحول في ميزان القوى داخل مجلس الشيوخ إلى تغيير في رؤية الولايات المتحدة لدول الخليج من صورة قديمة لدول في حاجة إلى المظلة الأميركية إلى حقيقة جديدة تؤكد أن هذه الدول أصبحت مركز ثقل جيوسياسي ومالي من الصعب استعداؤه أو تهميشه لأن ذلك يقود إلى أضرار مباشرة للشركات الأميركية وللولايات المتحدة نفسها.

الجزائر تسحب صفقة ميناء الحمدانية من الصين لتهدئة التوتر مع فرنسا

الجزائر - كشفت وسائل إعلام فرنسية أن الجزائر غيرت وجهة مشروع ميناء الحمدانية غرب العاصمة، والذي كان منتظرا أن يتم تمويله وتشييده بقروض وشركات صينية لصالح فرنسا، في موقف يظهر أن الجزائر تبحث عن تهدئة التوتر مع باريس حتى وإن قاد ذلك إلى توتر مع شريك إستراتيجي مثل الصين.

ورجحت مصادر أن تكون لزيارة رجل الأعمال الفرنسي رودولف سعادة إلى الجزائر، مطلع الشهر الجاري، ولقائه الرئيس عبدالمجيد تبون، علاقة مباشرة بهذا القرار.

وذهبت تأويلات عديدة إلى أن رجل الأعمال الذي يدير مجمع "سيما سي جي أم"، العملاق المختص في نشاط الشحن والنقل البحري، والمالك لمجمع إعلامي مؤثر في فرنسا، مرشح لأداء دور تحييد المصالح الاقتصادية بين الجزائر وفرنسا عن الخلافات السياسية والأزمة القائمة بينهما، نظرا إلى قربه من الرئيس إيمانويل ماكرون، ومكانته في قصر الإليزيه.

وأكدت الجزائر، على لسان الرئيس المدير العام لشركة موانئ الجزائر "سيربور" عبدالكريم رزال، صحة المعلومات التي روجتها تقارير إعلامية فرنسية حول تخلي الجزائر نهائيا عن مشروع ميناء الحمدانية، بضاحية شرشال في إقليم محافظة تيبازة (50 كلم غربي العاصمة).

وأعطى مدير مؤسسة موانئ الجزائر، الانطباع، بأن قرار التخلي راجع لأسباب تقنية ومالية، وأن بقاء مشروعات مينائية أخرى قيد الدراسة، يبقي حظ الصين في الاستحواذ على بعضها، ولو أن الأولوية الآن على ما يبدو هي فتح المجال أمام المجمع الفرنسي لتطوير وعصرنة الموانئ الموجودة، فضلا عن أن شروط الصين في ميناء الحمدانية كانت مجحفة حسب رأي مراقبين، كاشتراط توفير التمويل حصريا للمؤسسات الصينية التي تقوم بتشييده، وكلفته التي تضاهي الخمسة مليارات دولار.

وذكر تقرير لصحيفة "لوبينيون" الفرنسية، بأن "الرئيس الجزائري وضع حدا لمشروع بناء ميناء المياه العميقة في الحمدانية، الذي أُطلق العام 2015 وكان من المقرر أن يُسند إلى الصين، وذلك بسبب التكلفة المرتفعة جدا، والتي شهدت تضخيما كبيرا خلال حقبة الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة. وبدلًا من ذلك، ترغب السلطات في تطوير الشبكة الحالية للموانئ لاستيعاب أكبر السفن."

> رودولف سعادة مرشح لأداء دور في تحييد المصالح الاقتصادية بين الجزائر وفرنسا عن الخلافات السياسية

ويضيف التقرير "معظم الموانئ تعاني من عمق غير كاف، أقل من اثني عشر مترا، وتُجرى حاليًا العديد من مشاريع جرف المياه للوصول إلى عمق 17 مترا، كما أن هناك خيارا آخر يتمثل في بناء أرصفة جديدة تمتد إلى عرض البحر لاستقبال السفن."

ورغم تماهي التصريحات في باريس والجزائر، إلا أن الغموض لا زال يكتنف القرار، خاصة في ما يتعلق بدلالاته السياسية. ففيما يطرح عدم التوافق الإستراتيجي بين الجزائر والصين في بعض الاستثمارات، يتم الدفع بالمصالح الاقتصادية لتكون صمام أمان العلاقات الجزائرية – الفرنسية، واستغلالها في احتواء الأزمة الدبلوماسية القائمة بينهما منذ قرابة العام، وبذلك يتم التنازل عن حملة تسويقية في الدوائر السياسية الموالية للسلطة، للمشروع الذي راهنت عليه لسنوات من أجل أن يكون ورقتها التنافسية في منطقة حوض المتوسط، ويكون نقطة ربط بين أوروبا وأفريقيا.

وشكلت المعلومات التي أوردتها تقارير إعلامية فرنسية، وتم تأكيدها في الجزائر، صدمة للتيار السياسي والأيديولوجي الداعي إلى فك الارتباط مع فرنسا، وتسللت شكوك لدى هؤلاء المعروفين بولائهم للسلطة، حول دور محتمل للوبي الموالي لباريس، في إقناع السلطة بالتنازل عن الفكرة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

سوريا لم تعد آمنة للتنظيمات الفلسطينية

الجيش الإسرائيلي يختطف عناصر من «حماس» جنوب سوريا

لم تعد سوريا آمنة بالنسبة للتنظيمات الفلسطينية، ليس فقط لجهة تضييقات دمشق عليها، بل وأيضا ملاحقة الجيش الإسرائيلي لعناصرها أو المتعاملين معها على غرار ما حصل في بيت جن بريف دمشق.

إسرائيل تتحرك بأريحية داخل الأراضي السورية

دمشق - تواجه التنظيمات والفصائل الفلسطينية واقعا جديدا في سوريا، في ظل تضييقات من جانب السلطات الجديدة في دمشق، وملاحقات الجيش الإسرائيلي الذي أعلن الخميس عن اعتقال خمسة عناصر من حركة حماس في جنوب سوريا.

وعلى مدى العقود الماضية، شكلت سوريا حاضنة للفصائل الفلسطينية على غرار حركة الجهاد الإسلامي، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة، وحركة حماس، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (الجناح العسكري).

وحظيت تلك الفصائل، وهي مصنفة منظمات إرهابية من قبل الولايات المتحدة، برعاية من نظام البعث، وكانت تتحرك بأريحية نسبية داخل الأراضي السورية وتمتلك معسكرات.

وحتى في ذروة الأزمة السورية التي اندلعت في العام 2011 بقيت معظم الفصائل تحتفظ بوجود في البلاد، ليتغير الوضع مع الانهيار الدراماتيكي لنظام الرئيس بشار الأسد في الثامن من ديسمبر الماضي.

> وزارة الداخلية السورية أفادت، الخميس، بمقتل مدني و«اختطاف» سبعة أشخاص خلال عملية التوغل الإسرائيلية

وعمدت السلطات السورية الجديدة إلى التضييق على تحركات تلك الفصائل، وشنت على فترات متقاربة حملات اعتقال بحق أعضاء فيها، ما اضطر العديد من القيادات إلى المغادرة باتجاه دول أخرى مثل لبنان.

وربط مراقبون دواعي تلك التضييقات بالضغوط الأميركية على السلطة السورية الجديدة، وكان الرئيس دونالد ترامب واضحا خلال لقائه مع الرئيس أحمد الشرع بوجوب وضع حد لوجود التنظيمات الفلسطينية في البلاد.

ويقول المراقبون إن سوريا عمليا لم تعد آمنة بالنسبة للتنظيمات الفلسطينية، فإلى جانب موقف دمشق، هناك أيضا توجه إسرائيل لملاحقة عناصر تلك التنظيمات في الداخل السوري، على غرار ما حصل في بيت جن.

وفي تحرك لافت، أعلن الجيش الإسرائيلي الخميس تنفيذ عملية "دقيقة" جنوب دمشق، تمكن خلالها من "إلقاء القبض" على عدد من الأشخاص، قال إنهم مرتبطون بحركة حماس ونقلهم إلى الأراضي الإسرائيلية للتحقيق معهم.

وفي وقت لاحق أفادت وزارة الداخلية السورية بمقتل مدني و"اختطاف" سبعة أشخاص خلال عملية التوغّل الإسرائيلية ، منددة بـ"انتهاك صارخ" للسيادة.

وأتى ذلك بعد أكثر من أسبوع على قصف إسرائيل مناطق في جنوب سوريا ردا على إطلاق مقذوفين باتجاه أراضيها، في أول هجوم من نوعه منذ تولي الرئيس الشرع السلطة عقب إطاحة الأسد.

وأوردت الداخلية السورية في بيان "أقدمت قوات عسكرية تابعة للاحتلال الإسرائيلي، فجر الخميس، مؤلّفة من دبابات وناقلات جند وآليات راجلة، ورافق هذه القوة طيران استطلاع مسير، على التوغّل في قرية بيت جن التابعة لمنطقة قطنا بريف دمشق".

وقالت إن القوة نفّذت "عمليات دهم واعتقال طالت عددا من المواطنين، أسفرت عن اختطاف سبعة أشخاص"، مضيفة "ترافق هذا التصعيد مع إطلاق نار مباشر على الأهالي في القرية، مما أسفر عن استشهاد أحد المدنيين".

وأضافت أنه "تم نقل المخطوفين إلى داخل الأراضي المحتلّة، ولا يزال مصيرهم مجهولا حتى اللحظة".

واعتبرت الداخلية أن هذه "الاستفزازات المتكررة تشكل انتهاكا صارخا لسيادة الجمهورية العربية السورية، وخرقا فاضحا للقوانين والمواثيق الدولية"، مضيفة أنها "ممارسات لا يمكن أن تقود المنطقة إلى الاستقرار، ولن تجرّ إلا المزيد من التوتر والاضطراب".

وكان الجيش الإسرائيلي أوضح في بيان سابق أن قوات إسرائيلية نفّذت "بناء على معلومات استخباراتية... عملية ليلية دقيقة في سوريا، تم خلالها إلقاء القبض على عدد من مخربي منظمة حماس الإرهابية، والذين كانوا يحاولون الترويج لمخططات إرهابية متعددة ضد مواطني دولة إسرائيل وقوات جيش الدفاع في سوريا".

وقال إن قواته عثرت كذلك في المنطقة "على وسائل قتالية وصادرتها، بما في ذلك أسلحة نارية ومخازن ذخيرة وأنواع ذخيرة".

وبحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان، فقد اقتحمت "قوة إسرائيلية كبيرة" ليل الأربعاء – الخميس بلدة بيت جنّ "من عدة محاور، رافقتها عدد من الآليات العسكرية، بالتزامن مع تحليق للطيران المسيّر... ووجّهت عبر مكبرات الصوت نداءات بأسماء عدد من الشبان المطلوبين، قبل أن تعتقل سبعة منهم وتقتادهم إلى جهة مجهولة".

وأضاف المرصد "خلال تنفيذ العملية، أطلقت القوات الإسرائيلية النار على شاب في محيط منزله، ما أدى إلى مقتله على الفور".

وبحسب المرصد، فإن جميع الشبان المعتقلين، إضافة إلى القتيل، هم من "المدنيين" السوريين.

وجاءت العملية بعد أيام على إعلان الجيش الإسرائيلي شنّه غارة "على أحد عناصر حماس في منطقة مزرعة بيت جن"، في حين أفاد المرصد عن مقتل شخص.

ومنذ وصوله إلى السلطة، أكد الشرع مرارا أن سوريا لا ترغب بأي تصعيد مع جيرانها، وشكل اعتقال كوادر للجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية، بمثابة رسالة طمأنة لإسرائيل، لكن لا يبدو أن الأخيرة تثق في السلطة الجديدة وتفضل العمل بشكل مباشر ضد أهداف معادية لها.

ويقول مراقبون إن الضغوط التي تواجهها الفصائل الفلسطينية في سوريا ستضطرها إلى المغادرة وإنهاء أي وجود لها، حيث إن البقاء صار بحد ذاته تحديا.

ومنذ سقوط حكم الأسد شنّت إسرائيل المئات من الضربات الجوية على أهداف عسكرية في سوريا، وتوغّلت في أراض داخل المنطقة العازلة منزوعة السلاح في الجولان، والواقعة على أطراف الجزء الذي تحتله الدولة العبرية. وتتقدّم القوات الإسرائيلية بين الحين والآخر إلى مناطق في عمق الجنوب السوري.

إجراءات مصرية صارمة تستبق قافلة الصمود

القاهرة - لا تريد السلطات المصرية ترك أمر قوافل ومسيرات كسر الحصار على قطاع غزة للصدفة، بعد وصول معلومات إليها حول محاولة اتخاذ هذه القضية ذريعة لممارسة ضغوط على القاهرة، وإجبارها على فتح الحدود مع القطاع، دون اعتبار للأوضاع العسكرية الملتهبة، أو أي تحرك إسرائيلي يمكن أن يقابله نشطاء من دول مختلفة، إذا وصلوا إلى مدينة رفح المصرية واقتربوا من نظيرتها الفلسطينية.

وتسير إجراءات القاهرة الصارمة على خطين متوازيين لمنع حدوث مفاجآت قد تضطرها إلى مواجهة مخاطر في توقيت بالغ الحساسية على الحدود مع قطاع غزة، الأول: أمني من خلال توفير المزيد من ضبط الحدود مع ليبيا، ورفع حالة الاستنفار في المدن المصرية التي استقبلت أو يمكن أن تستقبل نشطاء من دول مختلفة، جوا وبرا وبحرا.

والخط الثاني: دبلوماسي عبر التواصل مع دول يحمل هؤلاء جنسيتها، مع وضع ضوابط قانونية صارمة أعلنتها وزارة الخارجية لمن يريدون دخول البلاد والحصول على تصاريح من السفارات المعنية في الدول التي يخرج منها النشطاء.

وكشفت مصادر مصرية لـ"العرب" عن وجود أسماء وعناصر تنتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين من دول عدة، مندسة في صفوف النشطاء القادمين إلى مصر، وبعض المغرر بهم سياسيا أقنعوا بأن هذه الوسيلة يمكن أن تفضح إسرائيل أمام العالم، بينما الهدف الخفي هو إحراج النظام المصري، حال دخلوا البلاد ووصلوا إلى رفح أو منعوا من الدخول، وفي الحالتين تستعد آلة إعلامية، تقودها شبكة الجزيرة، لإقامة الحجة على مصر وإدانتها، وليس إسرائيل التي تقوم بتقتيل الفلسطينيين.

وأضافت المصادر ذاتها أن مصر غير مستعدة للمتاجرة بمعاناة غزة، وقدمت أكثر من 70 في المئة من المساعدات التي دخلت القطاع، ومواقفها ضد التهجير واضحة، وتصديها لخطط إسرائيل والولايات المتحدة معلن، ما كلف الدولة ثمنا باهظا، اقتصاديا وسياسيا، وغير مستعدة لدفع ثمن أمني جديد.

وما توافر لدى الأجهزة الأمنية المصرية من معلومات دقيقة جمعتها أو خبرات اكتسبتها يجعلها لا تترك هذه الأمور للصدفة، ويفرض عليها اتخاذ كل الاستعدادات لمنع مواجهة مأزق أو الدخول في أزمة ثم تسعى للبحث عن وسائل لحلها، وقد تواجه قافلة الصمود التي انطلقت من تونس متاعب لوجستية في شرق ليبيا.

وأكدت المصادر لـ"العرب" أن هذه النوعية من القضايا الحيوية تتعامل معها القاهرة بصرامة كبيرة، ولا تتركها لمزايدات بعض النشطاء، أو مناورات جماعة الإخوان التي لديها ثأر مزدوج مع النظام المصري (أمني وسياسي)، وتحاول تضخيم دور القافلة وحرفه عن مساره الإنساني المعلن إلى آخر سياسي خفي، في وقت تعيش فيه المنطقة على فوهة بركان يمكن أن ينفجر في أي لحظة ويقلب الأوضاع رأسا على عقب، كما تشهد العلاقات بين مصر وإسرائيل توترات مختلفة.

وأوقفت السلطات المصرية الخميس نحو مئتي ناشط أجنبي بمطار القاهرة وفنادق بالعاصمة قبل انطلاق ما سمي بـ"المسيرة العالمية إلى غزة" وتدعو إلى كسر الحصار.

وقال المتحدث باسم المسيرة سيف أبوكشك إن الموقوفين يحملون الجنسيات الأميركية والأسترالية والهولندية والفرنسية والإسبانية والمغربية والجزائرية.

وأعلن عدد من النشطاء عبر مواقع التواصل الاجتماعي عزمهم على الوصول إلى الحدود المصرية مع غزة عند معبر رفح، من أجل المطالبة بإدخال المساعدات الإنسانية وإنهاء الحصار الإسرائيلي، من خلال مسيرات وقوافل، من أوروبا وشمال أفريقيا.

وقال أستاذ العلوم الإستراتيجية بأكاديمية ناصر العسكرية التابعة للجيش المصري اللواء نصر سالم إن الموقف الذي اتخذته القاهرة بشأن تنظيم دخول القافلة يتسم بالحكمة، ويتماشى مع إرادة الشعب الذي يرفض فرض الصراع عليه مع إسرائيل أو أي طرف آخر، في وقت تسعى فيه الدولة لإيجاد حل للقضية الفلسطينية.

وأوضح سالم في تصريح لـ"العرب" أنه حال كانت رغبة القافلة إدخال المساعدات يمكن إرسالها إلى ميناء العريش وتضاف إلى أطنان المساعدات التي تنتظر الفرصة لدخول غزة، ومصر لن تنتظر لتصبح حدودها خارج السيطرة، وأي مجموعة تريد دخول الأراضي المصرية بلا تنسيق مع الأجهزة المعنية تسعى لفرض موقفها دون أن تدرك تبعات تعامل إسرائيل، حال اخترق النشطاء الحدود، وفي تلك الحالة لن تقف القاهرة متفرجة.

ولفت إلى أن الهدف الخفي هو إحراج الدولة المصرية لتبدو في موقف رافض للضغط على إسرائيل، وقد يحرجها ذلك في غياب وجود حماية وتأمين كافيين للقافلة أو جرى الاعتداء عليها من قبل إسرائيل، وكان يمكن تنظيم مظاهرات أمام السفارات الإسرائيلية والأميركية في الدول التي جاء منها النشطاء.

ووصلت القافلة المعروفة بـ"الصمود لكسر الحصار عن غزة" الخميس إلى مدينة مصراتة الليبية، وناشدت السلطات المصرية تسهيل مرورها إلى رفح المتاخمة لغزة.

نصر سالم

الهدف الخفي من قافلة الصمود هو إحراج الدولة المصرية

وذكر المتحدث باسم القافلة الشعبية نبيل الشنوفي "نحن الآن على مشارف مصراتة، وسنمر إلى (مدن) سرت وبني وليد ثم بنغازي"، في شرق ليبيا، وأنهم راسلوا السفارة المصرية في تونس، وسلموا قائمة بأسماء المشاركين عند مقابلة سفير مصر في تونس، وتم توضيح أهدافهم، وعبّروا عن استعدادهم للقيام بأي شيء يوصي به الطرف المصري لتسهيل عملية المرور إلى مدينة رفح.

وأعربت مصر في بيان لوزارة الخارجية الأربعاء عن تمسكها بالضوابط التنظيمية لزيارة المنطقة الحدودية المحاذية لقطاع غزة، لضمان أمن الوفود الزائرة، مرحبة بالمواقف الرسمية والشعبية الداعمة للحقوق الفلسطينية، والرافضة للحصار والتجويع والانتهاكات الإسرائيلية السافرة والممنهجة بحق الشعب الفلسطيني في غزة.

وشددت القاهرة على ضرورة الحصول على موافقات رسمية مسبقة لإتمام زيارات الوفود الأجنبية للمنطقة الحدودية المحاذية لغزة بمدينة العريش ومعبر رفح.

وتقوم الآلية المصرية المتبعة في مثل هذه الأمور، على التقدم بطلب رسمي للسفارات المصرية في الخارج، أو من خلال الطلبات المقدمة من السفارات الأجنبية في القاهرة، أو ممثلي المنظمات إلى وزارة الخارجية.

إيقاف نشطاء أجانب وصلوا إلى مطار القاهرة

الجمعيات الخيرية المحسوبة على «الإخوان» في الأردن تحت مجهر الحكومة

عمان - دخل مسار إنهاء حضور جماعة الإخوان المسلمين في الأردن مرحلة جديدة، بتوجيه الأنظار للجمعيات الخيرية المحسوبة على الجماعة المنحلة.

ويرى مراقبون أن هناك حرصا من حكومة جعفر حسان على وضع حد نهائي لجماعة الإخوان بشكلها القائم، وهو توجه يلاقي تأييدا من أوساط وشرائح واسعة داخل المملكة.

ويشير المراقبون إلى وجود العديد من الجمعيات التي تنشط في الظاهر في عدة مجالات مثل التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية، لكنها تشكل في واقع الأمر غطاء لجماعة الإخوان المحظورة وأحد مصادر تمويلها، من خلال جمعها للتبرعات.

ويقول المراقبون إن الحكومة فتحت ملف هذه الجمعيات منذ فترة، وهي اليوم تخضع للتدقيق على غرار جمعية الهلال الأخضر، التي يعتقد أن القيادي البارز في جماعة الإخوان حمزة منصور هو من يشرف عليها.

وأحالت وزارة التنمية الاجتماعية جمعية الهلال الأخضر الخيرية إلى المدعي العام الأردني لجمعها التبرعات بطرق غير قانونية.

> وزارة التنمية الاجتماعية تحيل جمعية الهلال الأخضر إلى المدعي العام الأردني لجمعها التبرعات بطرق غير قانونية

وقال بيان للوزارة إن وزيرة التنمية الاجتماعية قررت تعيين هيئة إدارية مؤقتة للجمعية وتكليفها بتدقيق جميع سجلات الجمعية المالية والإدارية والفروع التابعة لها بعد وقوعها بمخالفات قانونية.

وبحسب البيان، فقد أوضح التدقيق الأولي الذي قامت به الوزارة أن الهيئة الإدارية التي كانت تدير الجمعية باطلة وغير قانونية كونها أحد مخرجات اجتماع هيئة عامة غير قانوني.

وقد خالفت الجمعية التشريعات بالإعلان عن حملات لجمع التبرعات دون الحصول على التراخيص اللازمة وفق القانون، وبمنح العاملين لديها تصاريح جمع تبرعات بشكل غير قانوني، كما لم تقم بعمل ضبط تحصيل هذه التبرعات بالشكل الأصولي.

وخلت قرارات الهيئة الإدارية من آلية لتوزيع المساعدات العينية، ومن أي موافقات على المصاريف الخاصة بالجمعية، فيما تبين أن العاملين على جمع التبرعات كانوا يتقاضون نسبا مبالغا بها دون سند.

ووقعت الجمعية بمخالفات في الإنفاق والصرف من قبل المفوضين بالتوقيع على حسابات الجمعية. كما خالفت الجمعية القانون بطريقة إنشاء الفروع وارتباطاتها الإدارية والمالية، وبالتبرعات المقبوضة والمساعدات العينية الخاصة بالفروع وعملية توزيعها.

ويرى متابعون أن التحقيقات المفتوحة بحق جمعية الهلال الأخضر ستشمل المزيد من الجمعيات في الفترة المقبلة، وأن هناك قرارا من أعلى مستوى داخل المملكة بتتبع جميع الهيئات المرتبطة بالجماعة وإن كان بشكل غير مباشر، وتجفيف منابعها المالية.

وشارفت المهلة التي حددتها وزارة التنمية الاجتماعية للأشخاص الذين لديهم أو بحوزتهم أموال منقولة أو غير منقولة وتعود إلى جماعة الإخوان ومسجلة بأسمائهم، أو تم نقل ملكيتها إليهم، أو أبرموا أي عقود مع الجمعية المنحلة بما في ذلك عقود الإيجار والاستئجار، لتصويب أوضاعهم لدى لجنة حل الجماعة، على الانتهاء.

وكانت الحكومة الأردنية قررت في أبريل الماضي حظر كافة نشاطات "ما يسمى بجماعة الإخوان المسلمين"، واعتبار أي نشاط لها عملا مخالفا للقانون ويُوجب المساءلة.

ونص القرار الذي أعلنت عنه وزارة الداخلية، على تسريع عمل لجنة الحل المكلّفة بمصادرة ممتلكات الجماعة، سواء المنقولة أو غير المنقولة، وفقا للأحكام القضائية ذات العلاقة.

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

أنقرة تسير بحذر على درب السلام مع حزب العمال وتبقي أصابعها على الزناد

أوجلان يستشعر إمكانية انتكاس المسار السلمي ويطلب عقد لقاء مع مسعود بارزاني

تركيا التي ترى نفسها في موضع قوّة في صراعها ضدّ حزب العمال الكردستاني بفعل نشاط قواتها على أرض العراق والتوسّع الكبير في عملياتها هناك والوفاق الذي أصبحت تحظى به بشأن الموقف من الحزب من قبل السلطات العراقية، لا تكفّ رغم ما أظهره الحزب من جنوح للسلام عن توجيه الإنذارات إليه بأن خيار القوة ضدّه لم يلغ بالكامل وأنّه لا يزال قائما حتى تلبي قيادته جميع اشتراطات السلام وفقا للمنظور التركي.

أنقرة - تظهر تركيا في خطابها المتعلّق بمسار السلام مع حزب العمّال الكردستاني حرصا واضحا على إظهار نفسها في موقف قوّة إزاء الحزب معلنة عدم إلغائها إمكانية العودة الفورية للخيار العسكري ضدّه، وهو ما تؤكّده عمليا المعطيات الميدانية على أرض الواقع والتي تظهر عدم حدوث أي تغييرات ذات أهمية على تموضع القوات التركية والأنشطة العسكرية والاستخباراتية داخل الأراضي العراقية التي مثّلت مسرحا رئيسيا للصراع المتواصل بين مقاتلي الحزب والجيش التركي على مدى العقود الأربعة الماضية.

عائشة غول دوغان

لقاء القادة الأكراد في العراق وسوريا هو مطلب أوجلان شخصيا

ورغم التطور النوعي المسجّل في ذلك الصراع والمتمثّل في إعلان حزب العمال في مايو الماضي قراره بحل نفسه وإلقاء السلاح استجابة لدعوة مؤسسه وزعيمه عبدالله أوجلان المسجون في تركيا، لا تزال العملية السلمية المفترضة تفتقر للكثير من التفاصيل العملية التي قد ينطوي بعضها على عوائق وصعوبات يمكن أن تؤدّي إلى نسف المسار الذي لم تظهر منه إلى حدّ الآن سوى عناوين عريضة مبهمة، وهو ما يفسّر إعلان تركيا عن مواصلتها مراقبة الحزب وتتبع خطواته واختبار حسن نوايا قيادته.

وعلى الطرف المقابل تبدو قيادة الحزب على دراية بصعوبة المسار وإمكانيات انتكاسه ما يدفعها لمحاولة تحصينه عبر الاستعانة بالأطراف والقوى التي ساهمت في إطلاقه وعلى رأسها الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة المرجع الكردي المخضرم مسعود بارزاني.

وفيما أكدت وزارة الدفاع التركية الخميس أنها تتابع عن كثب التطورات الميدانية بخصوص قرار حل حزب العمال الذي لا تزال تصفه بـ"الإرهابي" وتتخذ التدابير اللازمة في ضوء تطورات تنفيذ القرار، كشفت جهات مقربة من الحزب عن رغبة زعيمه أوجلان في عقد لقاءات مع أبرز القيادات الفاعلة في إقليم كردستان العراق.

وقال المستشار الإعلامي بوزارة الدفاع التركية العقيد البحري زكي أق تورك الخميس في إفادة صحفية، إنّ ستّة من عناصر حزب العمال الفارين من شمال العراق سلموا أنفسهم لقوات الأمن التركية خلال آخر أسبوع.

وأضاف أن القوات التركية دمرت العديد من الملاجئ ومستودعات الأسلحة العائدة للحزب في شمال العراق، مشدّدا على أنه لن يتم التغاضي، بأيّ حال من الأحوال، عن إساءة استغلال عملية اندماج قوات سوريا الديمقراطية مع الإدارة السورية، وتابع قائلا "نؤكد مرة أخرى أن عزم تركيا على مكافحة الإرهاب لم يشهد أي تراجع."

وأردف "هدفنا الأساسي هو حماية وحدة وسلامة أراضي سوريا، وزيادة قدرتها الأمنية، وضمان التعاون بين البلدين في مكافحة الإرهاب."

ومن جهتها كشفت عائشة غول دوغان المتحدثة باسم حزب المساواة وديمقراطية الشعوب أن عبدالله أوجلان طلب عقد لقاء مع كل من مسعود بارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني، ونيجيرفان بارزاني رئيس إقليم كردستان العراق، وبافل طالباني زعيم الاتّحاد الوطني الكردستاني، وقوباد طالباني القيادي في الحزب نفسه، وكذلك مع مظلوم عبدي قائد قوات سوريا الديمقراطية.

وشدّدت دوغان في مؤتمر صحفي على أنّ لقاء هؤلاء القادة الأكراد "هو مطلب أوجلان نفسه،" لافتة إلى أهمية أن تنعقد اللقاءات في أقرب فرصة.

وكان حزب العمال قد أعلن في مايو الماضي قراره إنهاء أكثر من أربعين سنة من المواجهة العسكرية وحرب العصابات ضد القوات التركية وذلك بحل نفسه وإلقاء السلاح استجابة لدعوة مؤسسه وزعيمه عبدالله أوجلان المسجون في تركيا.

ويقول متابعون للملف إنّه ما زال من المبكر الحديث عن نتائج سياسية وأمنية فورية للقرار الذي لا يزال يفتقر للتفاصيل العملية والخطوات الإجرائية، كما لا يتوقع أن تبادر تركيا باتخاذ خطوات على الأرض في ضوئه ومن ذلك تعديل إجراءاتها العسكرية والأمنية والاستخباراتية في مواجهة مقاتلي الحزب داخل أراضي العراق التي اتخذوا منها على مدى عقود من الزمن موطنا لخوض حربهم الطويلة ضد الجيش التركي.

وعلى مدى سنوات طويلة أسست تركيا وجودا عسكريا مهمّا لها في عدد من مناطق شمال العراق وأقامت بنية تحتية عسكرية، ووسعت خلال السنوات الأخيرة ذلك الوجود كما ونوعا وامتدادا جغرافيا مستفيدة من حالة الوفاق بشأن مواجهة حزب العمال مع السلطة الاتحادية العراقية وكذلك مع سلطات الحكم الذاتي في إقليم كردستان العراق، الأمر الذي مثل دائما مصدر قلق ومثار احتجاج واعتراضات قوى عراقية شيعية بالأساس معروفة بموالاتها لإيران، ومتوجسة بالنتيجة من توسع النفوذ التركي في العراق والذي تعتبره خصما من رصيد النفوذ الإيراني في البلد.

وعملت القوات التركية بلا هوادة على محاولة اجتثاث مقاتلي حزب العمال خصوصا من أماكن تواجدهم الرئيسية في المناطق الجبلية شديدة الوعورة في كردستان العراق، وبادرت لأجل ذلك بإقامة عدد كبير من القواعد والنقاط العسكرية وربطها بشبكة من المسالك الممتدة أيضا صوب الأراضي التركية.

وتقدّر مصادر عسكرية واستخباراتية عدد المواقع العسكرية التركية بشمال العراق بأكثر من ثمانين موقعا، تضم حوالي خمسة آلاف فرد بين جنود وضباط.

وسجل مؤخرا تطور طفيف في ملف السلام بين تركيا وحزب العمال عندما تم الكشف لأول مرّة عن الشروع في مناقشة موضوع مصير أعضاء الحزب وقياداته وأيضا نزع سلاحه الذي يمثل الموضوع الأساسي والمصيري في إنجاح المسار والمضي به قدما أو إفشاله وانتكاسه، بالنظر إلى صعوبة التفاصيل الكامنة داخله وما سيثيره من خلافات لم تتأخّر أولى بوادرها في الظهور.

وتتّجه الأنظار إلى الأدوار التي سيلعبها العراق بحكومته الاتحادية وبسلطات الحكم الذاتي في إقليم كردستان في حلحلة هذا الموضوع الشائك بالنظر إلى كون البلد معنيا مباشرة بملف الحزب الذي أدار أهم الحلقات من حربه الطويلة ضد القوات التركية من داخل الأراضي العراقية. وبينما بدأت قيادات في حزب العمّال بطرح بعض الاشتراطات على الجانب التركي بشأن موضوع السلاح الشائك والحساس، شرعت جهات تركية وشخصيات سياسية في تقديم تصوراتها بشأن تفاصيل السلام ومقتضياته العملية.

ودعا وزير الخارجية التركي الأسبق رئيس حزب المستقبل التركي أحمد داود أوغلو، خلال زيارة قام بها مؤخّرا إلى إقليم كردستان العراق، إلى إدماج الأبرياء الذين هم ضمن صفوف حزب العمال الكردستاني وإعادة تأهيلهم، في مقابل بقاء كبار قادة الحزب تحت المراقبة في دولة ما، مشدّدا على ضرورة تفكيك الهيكل الاقتصادي لحزب العمال الكردستاني.

ما الذي يمكن لأوجلان تحصيله من تركيا بعد نزع مخالب حزبه

اليمن على خطى سوريا في التحول إلى بؤرة لتهريب وترويج المخدرات

سيئون (اليمن) - دفع طول أمد فترة عدم الاستقرار في اليمن البلد إلى وضع شبيه بالوضع السوري خلال العشرية الأخيرة من فترة حكم نظام آل الأسد بتحوّل أراضيه إلى موطن لنشاط تجار ومهرّبي المخدرات سواء منها الموجّه للاستهلاك الداخلي حيث نشأت سوق محلية نشطة لتلك المواد، أو الموجه نحو بلدان المنطقة المغرية بثرائها وازدهارها الاقتصادي والمالي لعصابات تهريب وترويج المخدرات التي يبدو أنّها استثمرت في عدم استقرار بعض البلدان لتأخذ طابعا أكثر تنظيما وفقا لما يظهره تزايد الكميات المضبوطة من تلك المواد في البحر والبر على حدّ سواء.

وتمثّلت أحدث عملية لضبط كميات كبيرة من المواد المخدّرة في تمكّن كتيبة أمن وحماية منفذ الوديعة بين اليمن والسعودية من إحباط محاولة تهريب كمية من الحبوب المخدرة قدرت بأكثر من مليون قرص كانت مخفية بإحكام على سطح شاحنة تبريد متجهة إلى أراضي المملكة.

وكانت جهود دولية لمحاصرة نشاط تهريب المخدرات قد أظهرت تحوّل المنطقة البحرية القريبة من اليمن ومنطقة الخليج إلى محور لعمل العصابات العاملة في هذا المجال، حيث أعلنت البحرية الفرنسية في مايو الماضي عن ضبط نحو خمسة أطنان من المخدرات على متن قوارب تقليدية في بحر العرب، تقدر قيمتها بنحو 70 مليون يورو ما يعادل نحو 80 مليون دولار، وجاء ذلك بعد أسابيع قليلة على إعلان مماثل عن ضبط أكثر من 2.5 طن من المواد المخدرة في البحر ذاته ما يدل على تفاقم الظاهرة وتحول المنطقة وممراتها البحرية الإستراتيجية إلى مدار لحركة تهريب وترويج للمخدرات ما يشكّل صفارة إنذار للحكومات بشأن الخطر المحدق بمجتمعات دولها.

وما يزيد ظاهرة انتشار المخدرات خطورة في المنطقة كون المتاجرة بها تحوّلت إلى وسيلة لتمويل تنظيمات مسلّحة من بينها الميليشيات الناشطة في عدد من البلدان كأذرع لإيران.

وينطبق الأمر على جماعة الحوثي المسيطرة على أجزاء واسعة من اليمن المفتوح على بحر العرب. كما ينطبق أيضا على الميليشيات الشيعية في العراق والمتهمة على نطاق واسع بالضلوع في تهريب وإنتاج المخدّرات والمتاجرة بها ما يفسّر الانتشار الواسع للمواد المخدّرة في البلد رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها سلطاته لمحاصرة الظاهرة والحدّ منها.

أما سوريا فقد أصبحت في عهد نظام الرئيس السابق بشار الأسد النموذج الأوضح عن استخدام المخدّرات وسيلة للحصول على الأموال، حيث تمّ الكشف بعد سقوط النظام عن منظومة لتصنيع وتهريب المخدّرات قالت المصادر إن جهات محسوبة على النظام نفسه كانت تديرها وتشرف عليها.

وبشأن عملية منفذ الوديعة قال مصدر عسكري إن العملية نفذت بنجاح في نقطة التفتيش المعروفة بنقطة السلاح بعد أن اشتبه أفراد النقطة بالشاحنة، الأمر الذي قادهم إلى اكتشاف المواد المحظورة رغم محاولات التمويه المحكمة.

وأوضح أن سائق الشاحنة أقر خلال التحقيقات الأولية بأن الحمولة تعود إلى تجار ممنوعات في العاصمة صنعاء وأن مهمته كانت تقتصر على إيصالها إلى مدينة شرورة داخل السعودية حيث كان من المقرر أن يستلمها منه شخص آخر لا يعرف هويته.

وأشارت وسائل إعلام محلية يمنية نقلا عن المصدر ذاته إلى أنّه تمّ في الفترة الأخيرة إحباط عدد من محاولات تهريب المخدرات عبر نفس المنفذ الحدودي، موضّحا أن شبكات التهريب تلجأ إلى حيل وطرق مبتكرة في محاولاتها لتمرير المواد المخدرة من بينها إخفاؤها داخل الفواكه وفي أماكن خفية داخل المركبات.

وتقول مصادر محلية في أنحاء متفرّقة من اليمن إنّ البلد يشهد انتشارا غير مسبوق لعمليات تهريب وترويج المخدّرات بمختلف أنواعها، جرّ وراءه انتشارا واسعا لاستهلاكها بين شرائح واسعة من المجتمع لاسيما فئة الشباب بدءا من السنوات الأولى من مرحلة المراهقة.

وتتضافر ضمن أسباب الانفجار المهول الذي تعرفه الظاهرة الظروف الأمنية والاجتماعية التي تسببت بها الحرب الدائرة في البلد منذ ما يزيد عن عشرية من الزمن.

ورغم تفاوت حالات الاستقرار من منطقة يمنية إلى أخرى إلاّ أن هشاشة الأوضاع الأمنية وعدم قدرة الأجهزة على السيطرة على الأوضاع بالكامل وفرض القانون على الجميع تكاد تشكّل قاسما مشتركا بين مختلف المناطق اليمنية في ما عدا استثناءات قليلة.

كما أنّ انتشار الفقر وارتفاع معدّل البطالة، وخصوصا تفاقم ظاهرة الانقطاع المدرسي المبكّر ألقت بأعداد مهولة من اليمنيين جلّهم من الشباب في أوضاع بالغة الصعوبة وجعلت أعدادا منهم يلجأون إلى المخدرات كأيسر طريقة للتخلص من صعوبة الواقع وتناسيه ولو لبعض الوقت.

ويقول مصدر أمني إنّ العدد المهول للقضايا المتعلّقة بالمخدّرات تجاوز قدرات السلطات الأمنية وجعلها غير قادرة على تتبعها جميعا واضطرّها إلى إهمال المستهلكين وصغار التجار في محاولة لتركيز الجهود على المهرّبين وكبار التجار الذين اتّخذ نشاطهم سمة أكثر تنظيما واحترافية.

> ظاهرة تهريب وترويج المخدرات في المنطقة أصبحت لصيقة بمواطن نشاط أذرع إيران مثل اليمن والعراق وسوريا

وذكر المصدر أمني أنّ الإشكالية الكبرى في اليمن تتمثّل في عدم القدرة على ضبط المنافذ والحدود الطويلة للبلاد وخصوصا منها المنافذ البحرية التي تتهاطل عبرها جميع أنواع المواد المخدّرة القادمة من عدّة وجهات.

وشرح أنّ إيران وسوريا ولبنان وبلدان أفريقية واقعة على الضفة المقابلة من البحر الأحمر تعدّ مصادر رئيسية للمخدّرات المهرّبة إلى الداخل اليمني.

وأوضح أنّ تجارة المخدّرات في اليمن أصبحت رديفا لتجارة السلاح الرائجة بدورها نتيجة كثرة الأطراف المنخرطة في الصراعات المسلحة في البلاد وحاجتها المستمرّة إلى الأسلحة والذخائر.

كما لفت إلى معاناة أغلب القوى الأمنية من قلّة الوسائل المادية والتقنية اللاّزمة لمحاربة تهريب وترويج المخدّرات، وهي وسائل بلغت درجات كبيرة من التطور في بلدان أخرى وذلك مسايرة للتطوّر الكبير في أساليب التهريب والترويج بحدّ ذاته.

آفة معاصرة تتغذى على عدم الاستقرار

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

مجلس الشيوخ الفرنسي يجدد دعمه لملف الصحراء المغربية

كريستيان كامبون يدعو الجزائر إلى التعاون رافضا الاستفزازات

تواترت تصريحات المسؤولين الفرنسيين الداعمة لمغربية الصحراء، بعد الإعلان الرسمي للرئيس إيمانويل ماكرون دعم مقترح الرباط في النزاع المفتعل، حيث أكد مجلس الشيوخ الفرنسي أن الحكم الذاتي هو الحل الواقعي الوحيد لتحقيق السلام في هذه المنطقة.

موقف فرنسي ثابت من ملف الصحراء المغربية

الرباط - جدد مجلس الشيوخ الفرنسي للعلاقات الدولية (لجنة الشؤون الخارجية والدفاع والقوات المسلحة)، دعمه للصحراء المغربية، رافضا الانجرار وراء دوامة الاستفزازات المتكررة، في إشارة إلى التوترات الناجمة عن رفض الجزائر للموقف الفرنسي بشأن قضية الصحراء المغربية.

وتأتي هذه الخطوة، لتؤكد الاعتراف الفرنسي الرسمي بمغربية الصحراء ودعم مقترح الحكم الذاتي الذي تتبناه الرباط، في المقابل، توترت العلاقات بين باريس والجزائر بشكل كبير بسبب عدة عوامل، من بينها ملف الصحراء المغربية.

ويرى المتابعون، أن فرنسا تعمل على تحويل الاعتراف بمغربية الصحراء إلى أمر واقع بتكثيف زيارات المسؤولين السياسيين ورجال الأعمال وأنشطة الشركات الفرنسية والترويج لهذا الاعتراف دوليا على نطاق واسع والانخراط في مبادرة الأطلسي المغربية لتسريع دخول دول الإقليم إليها، ما يؤسس لشراكة واسعة تكون الصحراء المغربية منطلقا لها.

> **وزارة الخارجية الجزائرية حذرت في بيان شديد اللهجة، باريس من عواقب دعمها لملف الصحراء المغربية**

وقال كريستيان كامبون، المبعوث الخاص لرئيس مجلس الشيوخ الفرنسي للعلاقات الدولية إنه في "فرنسا هناك رفض للانجرار إلى دوامة الاستفزازات المتكررة،" في إشارة إلى رفض الجزائر دعم باريس لمغربية الصحراء.

وأضاف كامبون، في تصريح للصحافة على هامش لقاء وزير الخارجية المغربي مع وفد من البرلمان الفرنسي بغرفتيه الخميس بالرباط، أنه "بخصوص أصدقائنا الجزائريين؛ فنحن نحتفظ بالخطاب نفسه دائمًا والذي لا يرمي إلى التعارض مع مصالح هذا البلد؛ بل على العكس، نحن نؤمن دومًا بأن التفاهم بين المغرب والجزائر سيجعل من هذين البلدين قوة أفريقية ضاربة بفضل إمكانياتهما ومؤهلاتهما الهائلة."

وأورد المبعوث الخاص لرئيس مجلس الشيوخ الفرنسي للعلاقات الدولية أن القرار في الوقت الحالي يبقى للجزائر في اتخاذ ما تراه مناسبًا.

وتابع، "نحن نتحمل، دون شك، تبعات القرار الفرنسي بشأن الصحراء المغربية؛ لكننا نُبقي خطابنا خطاب سلام."

وأردف: "من خلال الدبلوماسية البرلمانية، نحاول من جانبنا دعم المغرب في علاقاته الدولية بناءً على التكليف الذي أسنده إلينا رئيس مجلس الشيوخ عبر الترويج للحكم الذاتي في محاولة لإقناع الدول الأخرى خاصة المترددة أو التي لها تساؤلات،" موردا أن الحكم الذاتي هو الحل الوحيد والواقعي لتحقيق السلام في هذه المنطقة من العالم التي هي في أمس الحاجة إليه.

وجدّد كامبون موقف رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي إبان زيارته الأخيرة للمغرب، والتي أكد فيها أن الأمر لا يتعلق بموقف شخصي أو حزبي؛ بل أصبح هذا هو موقف فرنسا الرسمي: الاعتراف بسيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية، في الحاضر وفي المستقبل.

وعبرت الجزائر عن رفضها للخطوة الفرنسية تجاه ملف الصحراء المغربية، وهو ما دفع وزارة خارجيتها، إلى إصدار بيان شديد اللهجة، حذرت فيه باريس من عواقب هذه الخطوة.

وأعربت الجزائر، عبر بيان لوزارة الخارجية، عن "أسفها الكبير واستنكارها الشديد لقرار الحكومة الفرنسية،" موردة أنها "ستستخلص كافة النتائج والعواقب التي تنجر عن هذا القرار وتحمّل الحكومة الفرنسية وحدها المسؤولية الكاملة والتامة عن ذلك."

وأوضح البيان أن "القرار الفرنسي هو نتيجة حسابات سياسية مشبوهة وافتراضات غير أخلاقية وقراءات قانونية لا تستند إلى أي مرتكزات سليمة تدعمها أو تبررها،" وأنه "لا يساعد على توفير الظروف الكفيلة بتسوية سلمية لقضية الصحراء،" و"يساهم بصفة مباشرة في تفاقم حالة الانسداد والجمود التي تسببت في خلقها على وجه التحديد خطة الحكم الذاتي المغربية لأكثر من سبعة عشر عاما."

وأواخر يوليو الماضي، أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في رسالة أن فرنسا تعترف بمخطط المغرب بخصوص الحكم الذاتي لمنطقة الصحراء المغربية في إطار السيادة المغربية كأساس وحيد لحل دائم للقضية، وهو ما مثل تطورا بالغ الدلالة والرمزية يتزامن مع احتفالات المملكة بالذكرى الخامسة والعشرين لعيد العرش.

وقال ماكرون في رسالة إلى العاهل المغربي الملك محمد السادس في الذكرى الخامسة والعشرين لتوليه العرش إنه "يعتبر أن حاضر ومستقبل الصحراء المغربية يندرجان في إطار السيادة المغربية." وفق بيان للديوان الملكي المغربي.

وأكد الرئيس الفرنسي في ذات الرسالة "ثبات الموقف الفرنسي حول هذه القضية المرتبطة بالأمن القومي للمملكة،" وأن بلاده "تعتزم التحرك في انسجام مع هذا الموقف على المستويين الوطني والدولي."

وشدد الرئيس ماكرون على أنه "بالنسبة إلى فرنسا، فإن الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية يعد الإطار الذي يجب من خلاله حل هذه القضية،" قائلا إن "دعمنا لمخطط الحكم الذاتي الذي تقدم به المغرب في 2007 واضح وثابت،" مضيفا أن هذا المخطط "يشكل، من الآن فصاعدا، الأساس الوحيد للتوصل إلى حل سياسي، عادل، مستدام، ومتفاوض بشأنه، طبقا لقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة."

وفي فبراير الماضي، قام رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي، مرفوقا بوفد رفيع المستوى يضم خاصة رئيس مجموعة الصداقة فرنسا – المغرب، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية والدفاع والقوات المسلحة بمجلس الشيوخ سيدريك بيران وسفير فرنسا المعتمد بالرباط كريستوف لوكورتيي، بزيارة إلى مدينة العيون للاطلاع على المشاريع والبرامج التنموية التي تشهدها الأقاليم الجنوبية للمملكة.

وأشار المسؤول الفرنسي إلى أن هذه الزيارة تمثل انطلاقة جديدة في مسار العلاقات بين البلدين، حيث سيتم فتح آفاق جديدة للشراكة الثنائية انطلاقاً من مدينة العيون، كما أعلن عن توجه قنصلي سيتم تنزيله قريباً، في خطوة تعكس التزام فرنسا بتعزيز حضورها ودعمها التنموي في الأقاليم الجنوبية للمملكة، مؤكدا أن العيون ليست فقط مدينة كبرى، بل هي نموذج للتنمية والاستقرار، ما يجعلها محورا رئيسيا في تعزيز الشراكة الإستراتيجية بين المغرب وفرنسا.

ويسيطر المغرب على 80 في المئة من الصحراء المغربية، وهي مستعمرة إسبانية سابقة، ويقترح منحها حكما ذاتيا تحت سيادته، لكن جبهة بوليساريو المدعومة من الجزائر تسعى لإقامة دولة مستقلة عليها.

واستمر النزاع المسلح بين الجانبين إلى أن تدخلت الأمم المتحدة في 1991 لوقف إطلاق النار. وتصنف الأمم المتحدة الصحراء المغربية ضمن "الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي."

صدام حفتر يبحث في روما دعم مكافحة الهجرة

روما - ناقش رئيس أركان القوات البرية، التابعة للقيادة العامة في الجيش الوطني الليبي، الفريق صدام حفتر مع وزير الداخلية الإيطالي ماتيو بيانتيدوسي سبل تعزيز التعاون الأمني والتنسيق بين الجانبين، خاصةً في ما يتعلق بمكافحة الهجرة غير النظامية، والتصدي لشبكات الاتجار بالبشر، والحد من انتشار الجريمة المنظمة.

جاء ذلك خلال الزيارة التي قام بها صدام حفتر إلى العاصمة الإيطالية روما تلبيةً للدعوة الرسمية المقدمة من الحكومة الإيطالية، بحسب بيان شعبة الإعلام الحربي التابعة للقيادة العامة.

وشهدت الزيارة اجتماعًا موسعًا عُقد في مقر وزارة الداخلية الإيطالية، حيث كان في استقبال الفريق صدام حفتر وزير الداخلية الإيطالي وعدد من كبار المسؤولين في الوزارة.

وأوضح البيان أن صدام حفتر أكد خلال الاجتماع "حرص القائد العام للقوات المسلحة، المشير خليفة حفتر، على دعم العلاقات الثنائية المتميزة بين ليبيا وإيطاليا، وتعزيز مجالات التعاون المشترك، بما يخدم المصالح المشتركة للبلدين."

من جانبه، أعرب وزير الداخلية الإيطالي عن تقديره لزيارة الفريق حفتر، مشيدًا بجهوده في تعزيز التعاون بين طرابلس وروما، ومؤكدًا التزام بلاده بتطوير آليات التنسيق مع الجانب الليبي في الملفات الأمنية ذات الاهتمام المشترك.

وسبق أن خصصت وزارة الخارجية الإيطالية 20 مليون يورو لإعادة المهاجرين القادمين من تونس وليبيا والجزائر إلى بلدانهم الأصلية، بالتعاون مع المنظمة الدولية للهجرة، لتحسين عمليات العودة الطوعية، باستهداف 3300 من المهاجرين الأكثر ضعفا.

وأعادت منظمة الهجرة الدولية نحو 16 ألف مهاجر من ليبيا خلال العام الماضي، ضمن برامج الإعادة الطوعية. واعترضت القوات البحرية الليبية أكثر من 21 ألف مهاجر في البحر المتوسط، ومن بينهم 700 طفل و1500 امرأة.

ومدّد الاتحاد الأوروبي عمل البعثة العسكرية "إيريني" العاملة في البحر المتوسط بموجب السياسة الأمنية والدفاعية المشتركة (CSDP) حتى 31 مارس 2027، وخصص مبلغ 16.35 مليون يورو للفترة الممتدة من 1 أبريل 2025 إلى 31 مارس 2027.

وانطلقت إيريني في 31 مارس 2020 لدعم عملية السلام في ليبيا ومعاونة خفر السواحل الليبي على مكافحة الهجرة غير الشرعية، وتنفيذ حظر الأسلحة الذي فرضته الأمم المتحدة على ليبيا.

إضرابات في قطاعات حيوية تفاقم مشاكل التونسيين

تعطل في حركة السكك الحديدية والمؤسسات الاستشفائية

خالد هدوي

تونس - تشهد قطاعات حيوية في تونس على غرار النقل والصحة سلسلة من الإضرابات احتجاجا على عدم تلبية الحكومة لجملة من المطالب النقابية مثل تحسين الأوضاع المهنية لعمال القطارات والأطباء المتربصين بالمستشفيات.

ولئن أجمعت الأوساط الشعبية والحقوقية في تونس، على مشروعية تلك الإضرابات وما تخفيه من مطالب مهنية، خصوصا بعد جملة من المفاوضات مع السلطة، فإنها أكدت أن تلك الاحتجاجات ستعطل بطريقة أو بأخرى مصالح المواطنين من مسافرين ومرضى في المؤسسات الاستشفائية.

وتضيف تلك الأوساط أنه، وجب وضع رزنامة مفاوضات بين النقابات والحكومة، تتم وفقها مناقشة المطالب في كل القطاعات، دون تعطيل شؤون المواطنين خصوصا في النقل والصحّة.

وتعطل سير القطارات على كامل شبكة السكك الحديدية بالخطوط الدّاخلية والمسافات البعيدة، مما أدى إلى إلغاء مئات الرحلات وسبّب ارتباكا في حركة النقل.

وأعلنت الشركة الوطنية للسكك الحديدية التونسية عن إضراب شامل لمدة يومين، (أمس الخميس واليوم الجمعة)، بعد فشل المفاوضات مع النقابة، مما سيؤدي إلى توقف حركة القطارات في كامل البلاد.

صعوبات النقل مستمرة

وقال حسان ميعادي الناطق الرسمي باسم الشركة، إنه تم توضيح أسباب الإضراب والإجراءات التي اتخذتها الشركة لضمان نقل المواطنين خلال هذه الفترة الصعبة.

وأضاف في تصريح لإذاعة محلية، أن الإضراب جاء نتيجة تعثر المفاوضات بين الطرف الإداري والنقابي على مدار جلسات صلحية عدة، كان آخرها في 11 يونيو الجاري، رغم محاولات الشركة لتأجيل الإضراب والاستجابة لبعض المطالب، تمسك الطرف النقابي بالقرار، مما أدى إلى الإعلان عن الإضراب.

وتتمحور مطالب، عمال شركة السكك الحديدية، حسب الميعادي، حول عدة نقاط، أبرزها؛ تنقيح النظام الأساسي للشركة، خاصة الجوانب المالية والإدارية، وتسوية وضعية الحاصلين على شهادات علمية، ومعالجة ملفات الترقيات للعاملين الذين قضوا أكثر من 25 سنة في نفس الفئة الوظيفية.

وأثّر إضراب سائقي القطارات في تونس على آلاف المسافرين الذين يستخدمون شبكة السكك الحديدية في تنقلاتهم اليومية، خاصة في العاصمة، ما أثار تذمّرا واستياء واسعيْن من تحميل المواطنين تبعات هذا الإضراب، وذلك رغم محاولة السلطة المسؤولة التخفيف من تأثيراته، بتوفير وسائل نقل بديلة.

بالموازاة مع ذلك، دخل الأطباء الشبان في تونس في إضراب حضوري لمدة خمسة أيام، مرفقًا بمقاطعة شاملة لاختبار مراكز التربصات، للمطالبة بتحسين أجورهم وسداد مستحقاتهم من حصص الاستمرار.

وذكرت المنظمة التونسية للأطباء الشبان، في بيانها أن الإضراب، الذي يمتد من 12 إلى 18 يونيو الجاري، سيشمل كافة الأعمال الاستشفائية والجامعية، بما في ذلك الأنشطة الأكاديمية ودروس التعليم التكميلي. ومع ذلك، تم استثناء حصص الاستمرار وأقسام الاستعجالي لضمان استمرارية الحد الأدنى من الخدمات.

وأكدت المنظمة على إلزامية حضور جميع الأطباء المقيمين والداخليين بكلية الطب بتونس طيلة أيام الإضراب، والمشاركة في الوقفات الاحتجاجية بالكلية. كما شددت على أن مقاطعة اختيار مراكز التربصات ستكون كاملة ودون أي استثناء.

ويأتي هذا الإضراب بعد صدور قرار مشترك مؤخرًا من وزراء الدفاع الوطني والمالية والصحة، ينص على صرف منحة خصوصية بقيمة 2000 دينار (676.12 دولار) شهريًا للمجندين المقيمين لأداء الخدمة الوطنية بوزارة الصحة، مع تكفل الوزارة بخلاص معلوم الحجز للتغطية الاجتماعية، لكن يبدو أن هذا القرار لم يلبّ مطالب الأطباء الشبان بشكل كامل.

وأفاد الخبير الجبائي والاقتصادي، محمد صالح الجنّادي أنه "يفترض أن تكون هناك أجندة نقاش بين الحكومة والنقابات بخصوص تحسين ظروف العمل في عدة قطاعات، ويبدو أنه لا توجد إرادة واضحة من الحكومة لفتح مجال لحوار جدي في هذا الشأن."

محمد صالح الجنادي

وضع التونسيين اليوم لا يحتمل المزيد من الأزمات

وأوضح في تصريح لـ"العرب"، "نحن في حاجة إلى الأطباء الشبان والمتربّصين، وتونس تكاد تكون قاطرة صحيّة، والصحة قطاع له أهميته لدى الدولة وتُنفَقُ عليه أموال طائلة، ويفترض عند إقرار الإضراب وجود أطباء ينوبون من أضربوا عن العمل، لأن ذلك سيزيد من مستويات الضغط على المواطن،" لافتا أن ذلك "مسؤولية حوكمة، وهناك غياب تام لعدة وزارات يجب عليها أن تتناقش مع الحكومة قبل اللجوء إلى الإضرابات، كما أنه يجب على الوزراء أن يؤدوا عملا ميدانيا للوقوف على كل المشاكل، بدل الاقتصار على الاجتماعات."

ولفت الجنادي إلى أن "وضع التونسيين اليومي لا يحتمل المزيد من الأزمات والمشاكل ونحن قادمون على موسم صيفي وسياحي،" مشيرا إلى أن "شركة السكك الحديدية تعاني بدورها من أزمة مالية ولوجيستية وتقنية."

وتشهد خدمات قطاع النقل العام في تونس إضرابات متكرّرة، بسبب مطالب مادية واحتجاج على تقادم أسطول النقل وتردّي ظروف العمل، في وقت تعاني فيه تونس من أزمة مالية واقتصادية غير مسبوقة.

ويعاني القطاع الصحي من نقص الموارد البشرية والمعدات، وتزايد الضغط على المستشفيات، خاصة بعد جائحة كورونا.

كما يعاني العديد من المهنيين في القطاع من ظروف عمل صعبة، وتأخر صرف المستحقات المالية، بينما يحذّر متابعون من أن الإضراب قد يؤدي إلى شلل في الخدمات الطبية، وتأخير في مواعيد العمليات والاستشارات، ما قد يؤثر سلبًا على صحة المرضى، خاصة في المناطق الداخلية التي تعتمد بشكل كبير على المستشفيات العمومية. وقد يزيد من الضغط على أقسام الاستعجالي، التي ستواصل العمل خلال الإضراب.

ويشتكي المواطنون الذين يتوجّهون إلى المستشفيات العمومية ومؤسسات الصحة العمومية بشكل عامّ من طول الانتظار للمرور أمام الطبيب بسبب الاكتظاظ والعدد الكبير للمرضى، فضلا عن قيام بعض الموظفين بدعوتهم إلى التوجّه لعيادة خاصّة أو مطالبتهم بدفع مبلغ مالي حتى يسرّعوا عمليّة تسجيلهم وبالتالي فحصهم.

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

تركيز أردني على مواجهة الشائعات أكاديميا بغياب خطة لوسائل الإعلام المحلية

السلطات تكافح لمسايرة التحديات المرتبطة بالأخبار المضللة داخليا وخارجيا

إستراتيجية قديمة لعصر جديد

بعد التربية الإعلامية يطلق الأردن أكاديمية الدراية الإعلامية "كخطوة إستراتيجية لمواجهة اضطراب المعلومات،" في حين أن هذه الخطوة تحتاج إلى دعمها بإستراتيجية إعلامية وطنية لسد ثغرة المعلومات الناتجة عن سياسة حظر النشر في القضايا المهمة.

عمان - تبذل السلطات الأردنية جهودا مكثفة لمواجهة التحديات المرتبطة بانتشار الأخبار الكاذبة والشائعات خصوصا ما يتعلق منها بالأمن القومي، وتركز مؤخرا على التربية والتوعية الإعلامية، في حين يجادل البعض بأن إقرار إستراتيجية إعلامية وطنية بسقف حرية مرتفع لا غنى عنه لمواجهة التضليل.

ويرى وزير الاتصال الحكومي محمد المومني أن افتتاح "أكاديمية الدراية الإعلامية والمعلوماتية 2025" في معهد الإعلام الأردني يُشكل محطة نوعية في مسار بناء منظومة إعلامية مسؤولة، قادرة على التصدي لتحديات عصر المعلومات، وتمكين الشباب بالأدوات المعرفية والمهنية اللازمة

وقال المومني خلال مشاركته في حفل الافتتاح إن الأكاديمية تمثل استجابة إستراتيجية لتزايد التحديات المرتبطة بالأخبار المضللة وخطاب الكراهية، معتبرًا أن الدراية الإعلامية لم تعد خيارًا، بل ضرورة لتعزيز الثقة في الفضاء العام والدفاع عن الحقيقة.

ويواجه الأردن انتشارا واسعا للشائعات والأخبار المضللة التي تستهدف بصورة خاصة مواقف الأردن تجاه القضية الفلسطينية.

ويقول متابعون للمشهد الإعلامي إن هناك حملات تشويه تشنها وسائل إعلام خارجية ضد المجتمع الأردني سواء من خلال منصات التواصل الاجتماعي أو عبر قنوات فضائية خارجية، أو وكالات أنباء خارجية؛ بهدف تدمير الصورة الذهنية عن المجتمع الأردني وتشويهها أمام الرأي العام الخارجي، وبث الفرقة وتضليل المجتمع، وإرهاق الدولة، وذلك من خلال تناولها معلومات غير حقيقية ومغلوطة عن المجتمع الأردني، خدمة لمصالح وأجندات خارجية.

وشدد المومني على أن الأردن يولي أهمية بالغة لتطوير بيئة معلوماتية متزنة تعزز وعي المواطن وتحفز المشاركة الفاعلة عبر إعلام مهني وحر، مشيرًا إلى أن تمكين الشباب وتطوير مهاراتهم في هذا السياق يُعدّان استثمارًا في الأمن المعرفي والاجتماعي للدولة.

ولفت إلى أن الأكاديمية تُعدّ خطوة متقدمة نحو بناء قدرات الإعلاميين والطلبة في التفكير النقدي، والتحقق من المعلومات، والتعامل الواعي مع المحتوى الرقمي، بما يرسخ منظومة إعلامية تواكب التحول الرقمي وتخدم الصالح العام.

وتأتي هذه الخطوة الأكاديمية في إطار نفس التوجه الذي أطلقته السلطات بهذا الشأن حيث تبنت خطة متكاملة في مجال التربية الإعلامية والمعلوماتية، ترتكز على إدخال مفاهيم التربية الإعلامية والمعلوماتية ونشرها عن طريق المؤسسات التعليمية والشبابية والثقافية ومنظمات المجتمع المدني.

لكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه: ماذا عن وسائل الإعلام وتمكينها من الحرية والأدوات والمعلومات اللازمة لمواجهة التضليل والشائعات، إضافة الى مراجعة سياسة حظر النشر في القضايا الحساسة التي تشغل الرأي العام، حيث تسببت في نتائج عكسية وأدت إلى زيادة انتشار الشائعات وإرباك المجتمع الأردني بدلا من احتواء القضايا.

وتحدث مسؤولون ومختصون عن أهمية تجويد الخطاب الإعلامي الأردني، وتعزيز دور مهنة الإعلاميين والصحافيين، والدفاع عن الرواية الأردنية وسرديتها، ومحاربة الإشاعات والأخبار المضللة، من خلال رؤى مستقبلية تواكب الحداثة والتطور، ولاسيما في ظل استحداث الإعلام الجديد وأدوات الذكاء الاصطناعي.

محمد المومني

الدراية الإعلامية لم تعد خيارًا بل ضرورة لتعزيز الثقة

وجاءت هذه المطالب بعد أن برزت على منصات التواصل الاجتماعي حملات منسقة تهدف إلى الإساءة لموقف الأردن وتشويه صورته، عبر حملات "الذباب الإلكتروني"، حيث أصبح أداة خطيرة تُستخدم لتضليل الرأي العام وبث الفتنة، خصوصًا في أوقات تتطلب فيها الساحة الداخلية أقصى درجات التماسك والوعي الوطني.

وأكد وزير الخارجية الأسبق جواد العناني أن الذباب الإلكتروني أصبح أداة فعالة في الحروب النفسية والإعلامية التي تُشن بين الدول، حيث يتم استغلال التطور التكنولوجي لنشر معلومات مضللة أو كاذبة، غالبًا ما تستند إلى وقائع حقيقية يتم تحريفها أو تضخيمها أو اجتزاؤها لتقديم صورة مخالفة للواقع.

وأشار العناني إلى أن هذه الممارسات تتضمن الكذب المتعمد، والتلاعب بالفيديوهات وتقليد الأصوات، باستخدام تقنيات أصبحت متاحة بسهولة لأي شخص يمتلك معرفة بسيطة بالتكنولوجيا، موضحًا أن أخطر وسيلة لبث هذه الأكاذيب هي منصات التواصل الاجتماعي، كونها فضاءً مفتوحًا وغير منضبط، يُستخدم بسهولة من قبل أصحاب النوايا السيئة لنشر الإشاعات وقتل المعنويات. ونوّه إلى ضرورة التحقق من صحة المعلومات، وعدم الانجرار خلف ما يُنشر دون الرجوع إلى مصادر موثوقة، مضيفًا أن هذه الحرب الرقمية لا تقتصر على الأغراض السياسية والعسكرية، بل تشمل أيضًا محاولات استغلال الأطفال والفتيات لأغراض إجرامية.

وتطرق العناني إلى محاولات بعض الجهات المعادية، خاصة من إسرائيل، لتقليل قيمة جهود الأردن تجاه القضية الفلسطينية، لافتًا إلى أن ذلك يهدف إلى زرع التفرقة والتشويش على وحدة الصف الأردني، خاصة في ظل وجود مكونين أساسيين في المجتمع هما الأردنيون من أصول شرق أردنية وأردنية فلسطينية.

من جهته أشار الخبير الأمني والإستراتيجي الدكتور بشير الدعجة إلى أن الذباب الإلكتروني أصبح السلاح الأخطر في الحروب الحديثة، إذ لم يعد العدو يأتي بصوت مدفع ورائحة بارود، بل بات يتسلل عبر منشورات وتغريدات وهاشتاغات مجهولة المصدر، مبينًا أن هذا النوع من الحروب يُدار بذكاء وتخطيط يشبه العمليات العسكرية، ويهدف إلى تقويض الثقة بالنفس والوطن، وتشويه الرموز الوطنية، وبث الفوضى داخل المجتمعات.

وأكد الدعجة أن الذباب الإلكتروني لا يمثل الرأي الحر، بل هو حملة مبرمجة وممولة تقف وراءها جهات استخباراتية، أبرزها الوحدة 8200 التابعة للاستخبارات الإسرائيلية، التي تسعى لتفتيت الجبهة الداخلية، وتآكل الثقة بالمؤسسات، وتخدير الحس الأمني لدى الشعوب، داعيًا إلى رفع مستوى الوعي المجتمعي، وتحقيق مناعة رقمية وطنية قادرة على مواجهة هذا الخطر الخفي.

بدوره أشار أستاذ الإعلام الرقمي في جامعة الشرق الأوسط محمود الرجبي إلى أن الذباب الإلكتروني هو مصطلح يُطلق على مجموعات حسابات وهمية أو شبه حقيقية تُدار بشكل مركزي ومنسق عبر غرف عمليات رقمية، لافتًا إلى أن ذلك يهدف إلى التأثير على الرأي العام من خلال التضليل ونشر الشائعات وإضعاف الثقة بالمؤسسات، ويزداد تأثير هذه الحملات في أوقات الأزمات، حيث تُقدَّم روايات بديلة مشوشة تُحدث بلبلة بين الناس، خصوصًا في ظل غياب أدوات التحقق لدى المواطن العادي.

وفي سياق الحملة التي استهدفت الجهود الأردنية في دعم غزة، أوضح الرجبي أن الذباب الإلكتروني استخدم أساليب عدة، أبرزها نشر صور مزورة أو قديمة على أنها تمثل المساعدات الأردنية، وبث روايات زائفة تتهم الأردن بتقديم دعم رمزي أو شكلي فقط، متجاهلين الموقف الأردني الثابت والداعم لفلسطين، مؤكدًا أن هذه الحملات سعت لتقويض السردية الوطنية وزرع الشك في نوايا الأردن الإنسانية.

السعودية تطلق «دليل المهن الإعلامية» لتحسين حوكمة القطاع وجودة المحتوى

الرياض - أطلقت الهيئة العامة لتنظيم الإعلام في السعودية "دليل المهن الإعلامية" بهدف تطوير حوكمة القطاع الإعلامي، والارتقاء به إلى مستويات جديدة من الجودة والمهنية، بعد خطوة سابقة بمنع مزاولة المهنة إلا لأصحاب الاختصاص.

وصرّح عبداللطيف العبداللطيف الرئيس التنفيذي للهيئة العامة لتنظيم الإعلام أن الدليل يعدّ مرجعًا لتوصيف الوظائف الإعلامية وتصنيفها، ويأتي ثمرة من ثمار الإستراتيجية الجديدة للهيئة، التي تهدف إلى تدريب الإعلامي ورفع كفاءته.

وأشار إلى أهمية التسجيل المهني في تطوير قطاع الإعلام، وأكد أن الدليل يأتي مكملاً للتسجيل المهني لحوكمة المهن الإعلامية وضبطها وتحديد مرجعية لتوصيفها لدى المؤسسات، والجهات الإعلامية بما يرفع من جودة الممارسات الإعلامية. مضيفا أن الهيئة ستستمر في مساعيها لتطوير قطاع الإعلام ليكون رافدًا للاقتصاد الوطني، ومواكبًا لرؤية السعودية 2030.

وتسعى الهيئة من خلال هذا الدليل التنظيمي إلى تطوير الحوكمة المتبعة في تنظيم المهن الإعلامية بدءًا من عملية التسجيل المهني، وصولاً إلى الارتقاء بأداء العاملين بالمهن الإعلامية، ورفع مستوى الوعي لدى الممارسين الإعلاميين والمنشآت الإعلامية، لجعل بيئة العمل الإعلامي منظّمة وجاذبةً للمبدعين، ومحفزة على تحقيق أعلى مستويات الجودة والكفاءة.

ويُقدّم الدليل المبادئ العامة التي تحكم أداء العمل في المهن الإعلامية والضوابط التي يجب على الإعلامي الالتزام بها، بصفتها مكمّلة لضوابط المحتوى الإعلامي المنصوص عليها في نظام الإعلام المرئي والمسموع ولائحته التنفيذية، ومن هذه الضوابط: التحقق من صحة المعلومات، وتحديد المصادر، والتفريق بين التحليل والتقرير الإخباري، وتسمية التحليل والتعليق، وتمييز الأخبار عن الدعاية.

وتطرّق الدليل إلى ضوابط العمل الإعلامي، ومبادئ ممارسة المهنة بالاستناد إلى المعايير الدولية لمهنة الإعلام، التي تشمل: الاستقامة، الموضوعية، الحفاظ على السّريّة، الكفاءة، تصحيح الحقائق، العدل والنزاهة، مرورًا بشروط ومزايا التسجيل المهني للإعلاميين، والاعتماد المهني. وقدّم توضيحا لمسؤوليات ومهام كافة المهن التي ترخّصها الهيئة العامة لتنظيم الإعلام.

وتعمل الهيئة العامة لتنظيم الإعلام على تحقيق المزيد من الشفافية والمهنية لدى ممارسي العمل الإعلامي، سعيًا إلى توفير بيئة حاضنة للابتكار ومنافسة في التطوير، إلى جانب التزامها المسؤولية والمصداقية، ما يعزز الثقة بين الجمهور ووسائل الإعلام. وحثت ممارسي المهن المشمولة في الدليل على التسجيل المهني من خلال منصة إعلام.

وجاءت هذه الخطوة بعد اتخاذ الهيئة إجراءات نظامية بحق ممارسي المهن الإعلامية غير المسجلين مهنيًا، من أجل تحصين الجمهور من الممارسات الإعلامية السلبية والمضللة، وفقاً لما ذكرته وكالة الأنباء السعودية.

وجدّدت الهيئة تأكيدها على أهمية التسجيل المهني للإعلاميين، بصفته إجراء مُلزما قبل ممارسة أيّ من المهن الإعلامية، مبينة أن اللوائح المعتمدة ستُطبّق على ممارسي المهنة دون تسجيل مُسبق، وكذلك على الجهات الإعلامية التي تستعين بممارسين غير مسجلين.

> **ستة تحولات رئيسية تشهدها صناعة الإعلام في السعودية، منها تبني التقنيات الحديثة وتحسين البيئة التنظيمية**

كذلك دعت الممارسين كافة إلى الالتزام بضوابط أداء المهنة، مشيرة إلى أن مخالفة هذه الضوابط قد تؤدي إلى تعليق أو شطب الشهادة المهنية، وأكدت أن ممارسة العمل الإعلامي بعد انتهاء صلاحية الترخيص المهني دون تجديده، تُعدّ مخالفة صريحة تستوجب فرض الجزاءات المُلزمة.

وأطلقت الهيئة خلال المنتدى السعودي للإعلام 2025، تقرير "حالة قطاع الإعلام السعودي وفرص الاستثمار للعام 2024"، والذي يقدم نظرة شاملة عن واقع الإعلام في المملكة، ويسلط الضوء على التحولات الكبيرة التي يشهدها القطاع لمواكبة رؤية السعودية 2030.

ويعكس التقرير الفرص الاستثمارية الواعدة، بالإضافة إلى التحولات التقنية والتنظيمية التي تدعم نمو القطاع واستدامته، كما يوضح حجم الازدهار الذي يشهده قطاع الإعلام السعودي، حيث حقق تطورًا ملحوظًا مدفوعًا بالتحولات الرقمية والتطورات التكنولوجية، ما أسهم في رفع كفاءة المحتوى الإعلامي وتعزيز قدرته التنافسية عالميًا.

وتشير تقديرات الهيئة في مساهمة قطاع الإعلام بالناتج المحلي الإجمالي المباشر وغير المباشر عبر التقرير، إلى أن مساهمة قطاع الإعلام ارتفعت في الناتج المحلي الإجمالي إلى 0.57 في المئة في عام 2024، حيث بلغت 16 مليار ريال، مقارنةً بنسبة 0.52 في المئة في عام 2023، مع مواصلة الهيئة العمل على تحقيق أهدافها الطموحة برفع هذه النسبة إلى 0.8 في المئة بحلول عام 2030، وعلى مستوى الاستثمار في رأس المال البشري، بلغ ارتفاع الوظائف 67 ألف وظيفة، بمعدل 22 في المئة حتى نهاية 2024، مع وصوله بالأهداف المستهدفة إلى 160 ألف وظيفة بحلول 2030، عبر اتباع منهج شامل ومتكامل في تحديث الإستراتيجية لتكون داعمة وممكنة وقابلة للتنفيذ.

وحدد التقرير ستة تحولات رئيسية تشهدها صناعة الإعلام في المملكة، من بينها تزايد الطلب على المحتوى المحلي، وتطوير البنية التحتية الإعلامية، وتبني التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز، وتحسين البيئة التنظيمية، ودعم المواهب والكفاءات الوطنية، وتوسيع الفرص الاستثمارية.

وتشير حالة قطاع الإعلام إلى أن المملكة باتت وجهة لافتة للاستثمارات الإعلامية، حيث توفر بيئة تنظيمية مرنة ومشاريع ضخمة تهدف إلى تعزيز صناعة الإعلام، كما تناول التقرير الفرص المتاحة أمام المستثمرين، في إنتاج المحتوى، وتطوير الألعاب الإلكترونية، والاستثمار في البنية التحتية الإعلامية، والشراكات الدولية في السوق الإعلامي السعودي.

ويعتبر الاستمرار في تبني الابتكار والتقنيات الحديثة لتعزيز تنافسية الإعلام السعودي عالميًا، عاملاً مهمًا لأن القطاع يتمتع بمقومات كبيرة تجعله أحد المحركات الرئيسية للتنمية الاقتصادية والثقافية في المملكة.

وأوضح التقرير الفرص والتحديات في القطاعات الإعلامية، لخدمة المستثمرين والباحثين في قطاع الإعلام؛ ليواكبوا رحلة تطور المنظومة الإعلامية في السعودية، ويغطي التقرير قطاعات الإعلام الخمسة التي تشرف عليها الهيئة العامة لتنظيم الإعلام، وتتمثل في قطاع النشر، والإعلام المسموع، والإعلام المرئي، وقطاعي الإعلانات، والألعاب.

وتسعى الهيئة العامة لتنظيم الإعلام من خلال التقرير إلى تعزيز الفهم العميق للمشهد الإعلامي المحلي، وتقديم بيانات واضحة ودقيقة للجهات الإعلامية والمستثمرين المحليين والدوليين؛ لإبراز الفرص الواعدة في هذا القطاع الحيوي، كما توضح أن التقرير يُعدّ مرجعًا شاملاً لحالة الإعلام في المملكة، ويعتبر دليلًا للمستثمرين المحليين والدوليين والباحثين في القطاع؛ ودعت المهتمين للاطلاع على التقرير من خلال موقع الهيئة.

«تايم فرانس» أول ترخيص دولي لمجلة «تايم» الأميركية

باريس - تعتزم مجلة "تايم" الأميركية المعروفة بأغلفتها اللافتة وباختيارها سنويا لشخصية العام، إصدار نسخة باللغة الفرنسية في نهاية عام 2025، حسب ما أعلنته المجلة ومجموعة "360 بيزنس ميديا" التي تنشر أيضا نسخة فرنسية من مجلة "فوربس".

وفي أول ترخيص دولي لمجلة "تايم" التي انطلقت قبل قرن وعامين، ستكون "تايم فرانس" عبارة عن عدد مطبوع يصدر كل ثلاثة أشهر ويتألف من 200 صفحة، بحسب بيان. كما سيصاحبها موقع إلكتروني جرى إطلاقه في أكتوبر الفائت.

وأشار البيان إلى أن هذا الإصدار الجديد سيضم "محتويات أصلية باللغة الفرنسية" مع مقالات مختارة من النسخة الأميركية، وسيتم تشكيل فريق تحرير فرنسي "في الأشهر المقبلة".

وقالت "360 بيزنس ميديا" لوكالة فرانس برس إن لقب شخصية العام، وهو امتياز تمنحه المجلة الصادرة في نيويورك منذ عام 1927، سيكون هو نفسه في النسختين الأميركية والفرنسية.

وأوضحت المجموعة أن "الشخصية المختارة تتمتع عموما بانتشار عالمي حقيقي وصدًى، ما يبرر هذا الاختيار المنسق." وفي عام 2024 اختارت مجلة "تايم" دونالد ترامب شخصية العام.

وستُطبع من النسخة الفرنسية مئة ألف نسخة، ستُوزّع في فرنسا وبلجيكا ولوكسمبورغ وسويسرا وموناكو. من هذا الإجمالي ستُباع 50 ألف نسخة في أكشاك بيع الصحف، و50 ألف نسخة أخرى في "مواقع مميزة" مثل الفنادق الفاخرة أو صالات كبار الشخصيات في المطارات.

وتتمتع "تايم" بقاعدة جماهيرية تتجاوز 120 مليون متابع حول العالم من خلال مجلتها ومختلف منصاتها الرقمية.

وقال دومينيك بوسو الرئيس التنفيذي لشركة "360 بيزنس ميديا"، الذي سيدير أيضا المجلة الفصلية، في البيان "إنه لشرف لي أن أساهم في وصول هذا العنوان الأيقوني إلى فرنسا."

وأسس دومينيك بوسو بخبرته الواسعة في الصحافة والإنترنت شركة "360 بيزنس ميديا" عام 2016 خلال إطلاق النسخة الفرنسية من مجلة "فوربس"، وهي مجلة أميركية شهيرة أخرى، بداية كموقع إلكتروني، ثم في عام 2017 كنسخة فصلية مطبوعة.

ومنذ عام 2022 تضم مجموعتها أيضا مجلة "أونيريك". وقالت الرئيسة التنفيذية لمجلة "تايم" جيسيكا سيبلي إن "هذا الإطلاق يعكس التزامنا بالوصول إلى جماهير جديدة والتواصل معها أينما كانت."

> **120**
> **مليون شخص في العالم يتابعون «تايم» من خلال مجلتها ومختلف منصاتها الرقمية**

وأضافت "مع توسعنا في سوق الإعلام الفرنسي، نواصل تراثنا العريق في تغطية أخبار المنطقة،" ما يتضح جليا من خلال المقابلات الحصرية مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ونجم كرة القدم كيليان مبابي والشيف موري ساكو.

عنوان أيقوني في فرنسا

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

انفتاح تجاري عراقي على سوريا يكسر الجمود السياسي

إعادة فتح معبر البوكمال الحدودي تؤسس لتفاهمات أوسع

الاقتصاد أولا ثم السياسة

بغداد/ دمشق - يعكس إعلان السلطات السورية الخميس عن إعادة فتح معبر البوكمال الحدودي مع العراق للشاحنات والأشخاص بداية من يوم غد السبت تطورا اقتصاديا بمفاعيل سياسية، إذ يكسر القرار التجاري جمودا سياسيا بين دمشق وبغداد ويؤسس، حسب محللين، لتفاهمات أوسع.

وتأتي الخطوة في توقيت إقليمي بالغ الدقة، تتغير فيه موازين التحالفات وخرائط الانفتاح، وتندرج ضمن تحرّك عراقي مدروس يعيد تموضع بغداد إزاء الملف السوري، من بوابة الاقتصاد أولًا.

ورغم أنها تبدو في ظاهرها خطوة إجرائية لإعادة تنشيط حركة العبور والتبادل التجاري، فإن خلفيتها السياسية لا يمكن تجاهلها.

وتبرز أهمية المعبر في كونه منفذا بريا إستراتيجيا يربط العراق بالساحل السوري، ويوفر منفذا للصادرات العراقية باتجاه البحر المتوسط.

ويرى الدكتور فراس شابو، خبير العلوم المالية والمصرفية، أن "إعادة فتح المعابر الحدودية بين العراق وسوريا تُعد خطوة طبيعية بعد استعادة السيطرة على المناطق الحدودية، وستُسهم في تعزيز التبادل التجاري بين البلدين ورفع مستوى الاقتصاد في المناطق الحدودية"، وهو ما يعيد الحياة إلى محافظات مثل الأنبار ودير الزور، التي عانت من تهميش اقتصادي وأمني خلال السنوات الماضية.

ويعكس القرار- بحسب مراقبين - انفتاحا براغماتيا من الجانب العراقي، ينأى بنفسه عن سياسات العزل، ويعطي إشارة إلى أن بغداد مستعدة للعب دور جسر التهدئة والانفتاح، دون أن تكون جزءًا من محاور الصراع.

ويؤكد الدكتور مروان شحادة، أستاذ العلاقات الدولية، أن "فتح المعبر يُظهر رغبة عراقية في إعادة بناء العلاقات مع سوريا، ويُعد مؤشرًا على تحوّل في السياسة الإقليمية تجاه دمشق"، وهو ما ينسجم مع رغبة عراقية أوسع في إعادة تأهيل دورها كفاعل توازني بين الأطراف المتنافسة في المنطقة.

ولا يمكن عزل فتح المعبر عن التنسيق بين بغداد ودمشق في مواجهة التحديات الحدودية، وعلى رأسها عودة خلايا تنظيم داعش، والتهريب غير المشروع.

ويشير الخبير الأمني أحمد العلي إلى أن "التعاون الأمني بين العراق وسوريا سيكون أساسيا في مواجهة التحديات الأمنية المشتركة، خاصة في ظل وجود خلايا نائمة لتنظيم داعش على الحدود."

فتح معبر البوكمال الحدودي بين سوريا والعراق يمثل أكثر من مجرد قرار اقتصادي. إنه اختبار لقدرة الطرفين على إعادة ترسيم خطوط الاتصال السياسي والتكامل الإقليمي. وقد يكون هذا المعبر بداية لمسار مختلف تُبنى فيه العلاقات على المصالح المشتركة والبراغماتية، بدلا من القطيعة السياسية.

فنجاح الخطوة اقتصاديًا يمر بالضرورة عبر تثبيت الأمن على طول الخط الحدودي الذي شهد في السابق توترات عابرة للحدود.

وتأتي إعادة فتح معبر البوكمال في سياق دولي وإقليمي متشابك يعكس تحولات كبيرة. أولًا، يُعد المعبر حلقة مهمة ضمن جهود إعادة الإعمار في سوريا بعد سنوات من الحرب، حيث يعد ربط الاقتصاد السوري مع الدول المجاورة خطوة أساسية تسهم في إعادة دمج سوريا في الاقتصاد الإقليمي.

ومن جهة أخرى، يمر العراق بدوره بمرحلة إعادة توجيه سياسته الخارجية بعد سنوات من الانقسامات الداخلية والضغوط الإقليمية، حيث لا يعكس فتح المعبر فقط رغبة بغداد في تحسين العلاقات مع دمشق، بل هو أيضًا إشارة على عزم العراق لعب دور الوسيط الاقتصادي والسياسي بين المحاور المتصارعة في المنطقة، خصوصًا في ظل دوره الحيوي كجسر بين الشرق الأوسط والعالم.

> خطوة المعبر الحدودي تندرج ضمن تحرك عراقي مدروس يعيد تموضع بغداد إزاء الملف السوري، من بوابة الاقتصاد أولا

وتأتي هذه الخطوة في وقت تسعى فيه دمشق وبغداد لتوسيع نطاق التبادل التجاري ليشمل قطاعات إستراتيجية مثل الطاقة والزراعة والصناعة، ما يفتح الباب أمام مشاريع مشتركة قد ترفع مستوى التنمية في المناطق الحدودية والمهمشة، التي عانت لسنوات من تداعيات الحرب وانعدام البنية التحتية.

وبالإضافة إلى ذلك، يمثل المعبر جزءًا من شبكة أوسع من المعابر الحدودية التي يطمح الطرفان إلى تفعيلها تدريجيًا، وهو ما يشير إلى رغبة في بناء منظومة لوجستية متكاملة تعزز من الروابط الاقتصادية والاجتماعية بين البلدين، وتخفض تكاليف النقل وتسهّل حركة البضائع، ما يصب في مصلحة إعادة الاستقرار والتنمية.

ويعكس فتح معبر البوكمال أيضًا تطورًا في فهم طبيعة التعاون بين الدول المجاورة لسوريا، حيث أصبحت المصالح الاقتصادية المشتركة بوابة لإعادة بناء العلاقات رغم الخلافات السياسية السابقة، ما قد يشكل نموذجًا يُحتذى به في محاولات أخرى لإعادة دمج سوريا في المحيط العربي والإقليمي.

وفي السياق الأمني، لا يمكن تجاهل التحديات التي تواجهها المنطقة، فعودة خلايا داعش وخطر الجماعات المسلحة العابرة للحدود يتطلبان تعزيز التنسيق الاستخباراتي والميداني، وهو ما يمكن أن يكون أحد المحركات الحقيقية وراء هذه الخطوة، حيث يمثل الأمن ركيزة أساسية لإنجاح أي مشروع اقتصادي أو سياسي مستقبلي.

ويمثل فتح المعبر خطوة أمنية إستراتيجية بالغة الأهمية، لا تقل أهمية عن الأبعاد الاقتصادية والسياسية المصاحبة له. فالتعاون الأمني المشترك بين البلدين بات ضرورة ملحة، خاصة في ظل التحديات التي تواجهها الحدود المشتركة، والتي طالما كانت مسرحًا لتهديدات إرهابية وتهريب الأسلحة والمخدرات.

وتوفر إعادة تفعيل حركة العبور عبر المعبر منصة أساسية لتعزيز التنسيق الاستخباراتي بين دمشق وبغداد، مما يساهم في كشف ورصد تحركات خلايا تنظيم داعش وغيرها من الجماعات المسلحة التي لا تزال تنشط في المناطق الحدودية. وهذا التنسيق يسمح باتخاذ إجراءات أمنية فعّالة تستهدف القضاء على هذه التهديدات قبل أن تتفاقم وتنتقل إلى مناطق أخرى.

ويخلق فتح المعبر بيئة أمنية مستقرة من خلال تعزيز الرقابة على الحدود، حيث تتيح زيادة حركة المسافرين والشاحنات إجراء عمليات تفتيش دقيقة ومنظمة، مما يقلل من عمليات التهريب غير المشروع الذي لطالما زاد من تعقيد المشهد الأمني. كما يسهّل المعبر إنشاء آليات مشتركة لمراقبة الحدود تشمل تبادل المعلومات وتنسيق الدوريات الأمنية، الأمر الذي يدعم بناء الثقة بين الجانبين.

ويشير الخبير الأمني أحمد العلي إلى أن "نجاح الخطوة اقتصاديًا يمر بالضرورة عبر تثبيت الأمن على طول الخط الحدودي الذي شهد في السابق توترات عابرة للحدود"، مؤكدًا أن التعاون الأمني سيشكل حجر الزاوية في مواجهة أي مخاطر محتملة، خاصة في ظل بقاء خلايا نائمة لتنظيم داعش تهدد استقرار المنطقة.

وفي ضوء هذه التطورات، يعزز فتح معبر البوكمال من قدرة العراق وسوريا على فرض سيطرتهما على الحدود بشكل كامل، وهو ما ينعكس إيجابيًا على استقرار البلدين والمنطقة ككل، ويعطي إشارة واضحة إلى جدية البلدين في محاربة الإرهاب والتطرف، مما يخلق مناخًا أكثر أمانًا للمدنيين ويشجع على استمرار عمليات إعادة الإعمار والتنمية.

4 خطوات مطلوبة لإنهاء الحرب بين روسيا وأوكرانيا

واشنطن - لم يكن فشل الجولة الأخيرة من محادثات السلام بين أوكرانيا وروسيا في مدينة إسطنبول التركية في تقريب وجهات النظر بين الجانبين مفاجئا. فقد تمسك الطرفان بمطالبهما القصوى، مع إبداء أقل قدر من المرونة.

وفي حين لا تزال أوكرانيا تطالب بوقف إطلاق النار تمهيدا لمفاوضات السلام، تصر روسيا على ضرورة حل الأسباب الجذرية للصراع قبل تطبيق وقف إطلاق النار.

ويقول توماس غراهام الباحث في مجلس العلاقات الخارجية وأحد كبار مسؤولي إدارة روسيا في مجلس الأمن القومي الأميركي سابقا، في تحليل نشرته مجلة ناشونال إنترست الأميركية، إنه رغم صعوبة الموقف ما زال هناك أمل في تحقيق السلام، مشيرا إلى ضرورة اتخاذ 4 خطوات للوصول إلى هذا الهدف.

ويرى غراهام المسؤول في مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش أن الخطوة الأولى نحو السلام تتمثل في إجراء مفاوضات سرية جادة بدلا من المحادثات العلنية التي أجريت في إسطنبول، حيث لا يمكن التوصل إلى تنازلات حساسة تتيح الوصول إلى اتفاق إلا في السر.

وهذا لا يعني أنه لا مكان للمحادثات العلنية، وإنما يمكن أن تستمر في مسار مواز لتحقيق نتائج إيجابية في مسارات أخرى أقل حساسية كما نجحت محادثات إسطنبول في التوصل إلى اتفاق بشأن تبادل الأسرى، والأهم من ذلك، أنها قد توفر غطاء للمحادثات السرية من خلال جذب انتباه وسائل الإعلام بعيدا عن المفاوضات السرية.

والخطوة الثانية هي دمج محادثات السلام ضمن مناقشات قضايا الأمن الأوروبي والاستقرار الإستراتيجي. فالحرب ليست سوى جانب واحد من صراع روسيا الأوسع نطاقا مع الغرب. ويستحيل تحقيق تقدم ملموس نحو إنهاء الحرب دون محادثات موازية حول هذه القضايا ذات الأهمية الإستراتيجية لموسكو.

ولذلك يحتاج الأمر إلى تشكيل مجموعات مختلفة من الدول المعنية للتعامل مع الجوانب المنفصلة لهذه القضايا. فبوضوح كامل لا معنى لمناقشات قضايا الأمن الأوروبي دون مشاركة أوروبا.

وفي الوقت نفسه فإن محادثات الاستقرار الإستراتيجي ستضم روسيا والولايات المتحدة بشكل مباشر، في حين ستكون روسيا وأوكرانيا المحاورين الرئيسيين في قضايا أضيق نطاقا، مثل تبادل الأسرى بينهما.

دور واشنطن

أما الخطوة الثالثة فتترتب على الخطوة الثانية، وتتمثل في انخراط إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب بشكل فعال في الجهود الدبلوماسية الرامية إلى تحقيق السلام. فالقيادة الأميركية ستكون مطالبة بتنسيق المحادثات حول الحرب، والأمن الأوروبي، والاستقرار الإستراتيجي، على الأقل لكونها طرفا محوريا في هذه القضايا الثلاث.

وبفضل نفوذها القوي على طرفي الحرب، تمتلك واشنطن مفاتيح وقف إطلاق نار دائم وسلام مستقبلي. فكييف بحاجة ماسة إلى دعمها المعنوي والمادي المستمر، في حين ترى موسكو أن تطبيع العلاقات مع القوة العالمية الأبرز أمر بالغ الأهمية لترسيخ مكانة روسيا كقوة عظمى. كما أن الولايات المتحدة، إلى جانب روسيا، هي الدولة القادرة على تغيير شروط الأمن الأوروبي من جانب واحد.

وعلاوة على ذلك، تعد روسيا إحدى القوتين النوويتين العظميين اللتين تحددان معالم الاستقرار الإستراتيجي ليس في أوروبا فقط وإنما على مستوى العالم أيضا.

وتتمثل مهمة واشنطن الملحة لإنهاء الحرب، في وضع اتفاقية إطارية، ومجموعة من المبادئ والمعايير الخاصة بوقف إطلاق النار والتسوية الدائمة بهدف تضييق الفجوة بين مواقف روسيا وأوكرانيا.

وتعتبر ضمانات الأمن لكل من موسكو وكييف والتعامل مع الأراضي المتنازع عليها بينهما من القضايا الأشد صعوبة التي تجب معالجتها.

> ضمانات الأمن لموسكو وكييف والتعامل مع الأراضي المتنازع عليها يعتبران من القضايا الأشد صعوبة التي تجب معالجتها

والحقيقة هي أن وجود الولايات المتحدة كضامن أساسي للأمن الأوروبي منذ الحرب العالمية الثانية، كان السبب الرئيسي لاستدامة أمن أوروبا حتى الآن. لذلك فالضمانات الأمنية الأميركية وحدها قادرة على التوفيق بين الطرفين للوصول إلى تسوية مقبولة من الجانبين حتى إذا لم تكن تلبي أقصى مطالب كل طرف.

والخطوة الأخيرة تتمثل في ضرورة استمرار الدعم الأميركي الكامل لأوكرانيا وبخاصة الدعم العسكري. فمن المهم إقناع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بأن الصراع لن ينتهي بانتصاره في أرض المعركة واستسلام أوكرانيا، وإنما من خلال تسوية تفاوضية يتخلى فيها كل طرف عن أهدافه القصوى لصالح الحصول على مطالبه الضرورية بشأن الأمن.

ولذلك فإن تحرك إدارة ترامب لتوفير تمويل إضافي جديد لدعم أوكرانيا من شأنه أن يساهم بشكل كبير في تهيئة الأجواء لنجاح المحادثات، بغض النظر عن مدى حدة انتقاد الكرملين لمثل هذه الخطوة علنا.

وأخيرا، يقول توماس غراهام إنه حتى إذا تم تنفيذ هذه الخطوات الأربع، سيظل الطريق نحو السلام طويلا وشاقا. فالوصول إلى الحلول الوسط والتنازلات المتبادلة الضرورية لن يكون سهلا. فأي تسوية لن تسفر عن النصر الواضح الذي تأمله أوروبا وأوكرانيا.

وفي نهاية المطاف لن يخسر المعتدي كل المكاسب التي حققها. ولن يتم ضبط وإحضار بوتين أمام المحكمة الجنائية الدولية لمحاكمته كمجرم حرب. ولن تدفع روسيا تعويضات عن كل الأضرار والخسائر التي تسببت فيها الحرب.

وبدلا من ذلك ستضطر الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون وأوكرانيا إلى إيجاد طريقة للتعايش مع روسيا، لأن السلام يجب أن يكون هو الأولوية لجميع الأطراف من أجل حماية الأرواح وتجنب المزيد من الدمار، أما العدالة فيمكن تحقيقها بطريقة تراكمية عبر الزمن كما حدث أثناء الحرب الباردة.

سياق جيوسياسي أوسع

لا يمكن فصل الحرب في أوكرانيا عن السياق الجيوسياسي الأوسع، فهي ليست مجرد نزاع ثنائي بين دولتين جارتين، بل تمثل نقطة اشتعال حادة لصراع أعمق بين روسيا والغرب حول ملامح النظام الدولي وتوازن القوى في أوروبا وعموم أوراسيا.

ومنذ نهاية الحرب الباردة، ظل التوسع التدريجي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) باتجاه الشرق، وما صاحبه من محاولات لدمج أوكرانيا وجورجيا في منظومة الأمن الغربية، يشكّل مصدر قلق متزايد لموسكو، التي تعتبر هذه التحركات تهديدا مباشرا لأمنها القومي ومجالها الحيوي التقليدي.

وفي المقابل، ترى الدول الغربية أن سيادة الدول وحقها في اختيار تحالفاتها مبدأ غير قابل للمساومة. وقد مثّل رفض موسكو لهذا الحق في الحالة الأوكرانية لحظة مفصلية دفعت العلاقات الروسية – الغربية إلى أخطر مستويات التوتر منذ الحرب الباردة.

وبالنسبة للكرملين، لم تعد القضية تقتصر على أوكرانيا، بل تتجاوزها إلى إعادة رسم الحدود الأمنية في أوروبا بطريقة تضمن لروسيا دورا مكافئا لمكانتها كقوة عظمى.

وما يعزز من تعقيد هذا السياق هو البعد النووي للصراع. فروسيا، باعتبارها أحد قطبي الردع النووي العالمي، ترى نفسها طرفا لا يمكن تجاوزه في قضايا الاستقرار الإستراتيجي، وهي تستخدم هذه الورقة كأداة ضغط لمنع الغرب من المضي قدما في تقييد نفوذها. في المقابل، تسعى الولايات المتحدة وحلفاؤها إلى احتواء النفوذ الروسي دون الوصول إلى مواجهة شاملة، مما يفسر تردد الغرب في اتخاذ خطوات أكثر تصعيدا، كالتدخل العسكري المباشر أو فرض منطقة حظر جوي.

وإضافة إلى ذلك، يتزامن هذا الصراع مع تحولات كبرى في ميزان القوى الدولي، مع صعود الصين كقوة موازية للولايات المتحدة، ومحاولات دول الجنوب العالمي إعادة التموقع خارج استقطاب الحرب الباردة الجديدة.

وضمن هذا المناخ، تحاول موسكو تقديم نفسها كقائد لمعسكر عالمي مناهض للهيمنة الغربية، مما يمنح الصراع في أوكرانيا طابعا رمزيا يتجاوز حدود الجغرافيا إلى معركة على طبيعة النظام الدولي ذاته: هل سيكون أحادي القطب كما بعد 1991 أم متعدد الأقطاب كما تسعى إليه روسيا ودول أخرى؟

وهذا التعقيد الهيكلي في خلفية النزاع يجعل من محادثات السلام مهمة شاقة. فلا يمكن تسوية الأزمة الأوكرانية دون ملامسة الأسئلة الكبرى المتعلقة بالأمن الأوروبي ومستقبل الحلف الأطلسي وحدود القوة الأميركية، وهو ما يفرض ضرورة التعامل مع الملف بمنهج شامل يربط بين المستوى الثنائي والمستوى الدولي، وبين الحلول الأمنية المباشرة والرؤية الأوسع للاستقرار العالمي.

مفاوضات سرية موازية قد تحقق تقدما

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

الإستراتيجية الكبرى لإيران: الحفاظ على المكاسب بمرونة سياسية

المصالحة بين إيران والسعودية ليست تحولا إستراتيجيا، بل فرصة للتنفس دون التخلي عن سياسة الهيمنة

ولي نصر: مجتبى خامنئي، ابن علي خامنئي، هو الشخص الذي يجب مراقبته

يقدم لنا ولي نصر الإيراني – الأميركي في كتابه الجديد "الإستراتيجية الكبرى لإيران" قراءة بعين وذهن مشتركيْن، فهو الأميركي المقرب من مركز القرار في واشنطن والإيراني وابن رجل دين كان مقربا من الخميني، لكن كل ذلك يتوقف على ما ينتظر إيران خلال الأشهر المقبلة.

كرم نعمة
كاتب عراقي

كلما اتسعت الفجوة في تفسير ما يحدث داخل إيران بين مراكز الدراسات ومراكز القرار السياسي في الغرب، تتم الاستعانة بولي نصر! إنه نتاج تربية شيعية وإيراني الولاء وأميركي الحجة والتحليل! لذلك حظي كتابه الجديد الذي صدر بعنوان "الإستراتيجية الكبرى لإيران" باهتمام منقطع النظير على الرغم من مرور بضعة أسابيع على خروجه من المطبعة. لماذا؟ ليس لأنه يقدم سردا مشوقا لما حدث وسيحدث من سيناريوهات في إيران، بل يروي قصة مُقنعة حول دوافع صنع السياسات الإيرانية، وفي وقت تتسارع فيه وتيرة تبدل القوى في الشرق الأوسط، يُعدّ فهم طريقة تفكير إيران كقوة إقليمية ثيوقراطية أمرًا بالغ الأهمية.

ومع أن الكتاب لا يُقدّم إجابات ينتظرها معدو تقارير وأخبار القنوات الفضائية، لكنه من خلال تتبع تاريخ عمل الأمن القومي في إيران، قد نتمكن كقراء ومتابعين وسياسيين، كلٌ على حدة، من فهم أفضل لكيفية تطور الأمور في إيران.

ولي نصر هو ابن رجل دين إيراني ولد في طهران عام 1960 ومنذ أن كان عمره 16 سنة عاش في المملكة المتحدة لإكمال دراسته الإعدادية لكنه سرعان ما هاجر إلى الولايات المتحدة بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979. حصل على درجة البكالوريوس من جامعة تافتس في العلاقات الدولية بامتياز. كما حصل على درجة الماجستير في الاقتصاد الدولي ودراسات الشرق الأوسط من كلية فليتشر للقانون والدبلوماسية عام 1984، ثم حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من كلية العلوم الإنسانية والفنون والعلوم الاجتماعية بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عام 1991.

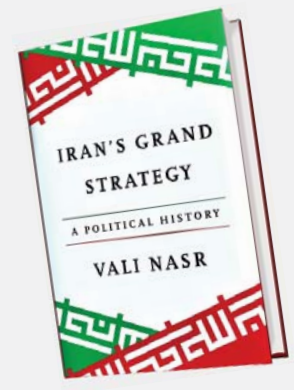

يكشف ولي نصر في كتابه عن رؤية جيوسياسية مدفوعة بخوف متفشٍّ في إيران بعد احتلال العراق من أميركا وخططها في الشرق الأوسط

فهمه المشترك لإيران بوصفه إيرانيا أميركيا جعله أحد أعضاء مجلس سياسة الشؤون الخارجية في وزارة الخارجية الأميركية، كما عمل كمستشار أول للممثل الخاص للولايات المتحدة في أفغانستان ريتشارد هولبروك، وهو عضو دائم في مجلس العلاقات الخارجية.

وجلب الانتباه إليه في كتابه السابق "إحياء الشيعة" الذي صنفته صحيفة نيويورك تايمز الأكثر مبيعًا. واليوم يأتي كتابه الجديد "الإستراتيجية الكبرى لإيران" كسرد مشوق يقلب الصور التبسيطية لإيران كدولة منبوذة ثيوقراطية، ويكشف كيف أن تحركاتها الإستراتيجية على المسرح العالمي مدفوعة بتهديدين شاملين: العدوان الخارجي والانحلال الداخلي.

وتمثل إيران أحد أهم تحديات السياسة الخارجية للولايات المتحدة والغرب، ومع ذلك لا يُعرف سوى القليل جدًا عن أهداف البلاد الحقيقية.

ويدرس ولي نصر التاريخ السياسي لإيران بطرق جديدة لشرح أفعالها وطموحاتها على المسرح العالمي، موضحًا كيف تسعى إيران اليوم، وراء قشرة الثيوقراطية والأيديولوجيا الإسلامية، إلى إستراتيجية كبرى تهدف إلى تأمين البلاد داخليًا وتأكيد مكانتها في المنطقة والعالم، بالاستعانة بالمذكرات والتاريخ الشفوي والمقابلات المتعمقة الأصلية مع صناع القرار الإيرانيين. ويسلط الضوء على الحقائق والأحداث في التاريخ السياسي لإيران التي تم تجاهلها حتى الآن.

ويتتبع الكاتب جذور الرؤية الإستراتيجية الإيرانية إلى تجاربها على مدى العقود الأربعة الماضية من الحرب مع العراق في ثمانينات القرن الماضي، وما تلاها من احتواء أميركي لإيران، وغزو العراق عام 2003، ودورها في تسهيل احتلال بغداد للانتقام من هزيمتها في الحرب العراقية – الإيرانية. ويكشف المؤلف كيف شكّلت هذه التجارب رؤية جيوسياسية مدفوعة بخوف متفشٍ من أميركا وخططها في الشرق الأوسط.

ويتحدى كتاب "الإستراتيجية الكبرى لإيران" وفق بيتر فرانكوبان أستاذ التاريخ العالمي في جامعة أكسفورد، فكرة أن السياسة الخارجية الإيرانية تعكس ببساطة قيمها الثورية أو حكومتها الثيوقراطية، ويقدم رؤى جديدة قيّمة حول ما تريده إيران وأسبابه، موضحًا مقاومة البلاد للولايات المتحدة، وطموحاتها النووية، وسعيها إلى النفوذ وكسب الوكلاء في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

فهم غربي قاصر لإيران

يفتتح ولي نصر، الأكاديمي الذي عمل مستشارًا لصانعي السياسات الأميركيين، كتابه "إستراتيجية إيران الكبرى" بادعاء صارخ، يكمن في أن فهم الغرب لنهج إيران "قاصرٌ للغاية، وقد عفا عليه الزمن بشكل خطير. لا يزال الغرب ينظر إلى إيران من منظور ثورة 1979، والدور المحوري الذي لعبه رجال الدين فيها."

ومهما نظرنا إلى الأمر، فإن سلسلة الأحداث المروعة التي وقعت في غزة منذ السابع من أكتوبر 2023 تُعيد تشكيل الشرق الأوسط. وتُمثل إيران جزءًا أساسيًا من أحجية معقدة تشهد أكبر عملية إعادة تشكيل لها منذ عقود.

ومن المهم على أي حال فهم الفكر والتوجهات الإيرانية، في وقت تجري فيه محادثات حساسة حول نظام العقوبات الذي تقوده الولايات المتحدة، وتدرس فيه إسرائيل خياراتها، ويواجه فيه المرشد الإيراني علي خامنئي وقادة الحرس الثوري تحديات تتعلق بتغير السياسات والحريات الاجتماعية والإصلاح الاقتصادي.

ويُجادل نصر بأن سياسات طهران الخارجية والأمنية، بعيدًا عن كونها مدفوعة بأيديولوجيا أو حماسة دينية، لها جذور عميقة. وكما قال مسؤول إيراني كبير لهنري كيسنجر قبل عشر سنوات، فإن هذه السياسات "مدروسة وعملية". الفكرة الرئيسية هي ما يصفه المؤلف بـ"إستراتيجية مقاومة كبرى" يُركز فيها منطق طهران وأهدافها وتوقعاتها على الصمود أمام أميركا واستنزافها.

ويقول المؤلف إن إيران لم تكن مهتمة بتصدير الثورة، بل كانت مهتمة بـ"رؤية مشتركة" لعالم شيعي يعارض "الهيمنة الأميركية". وهنا علينا استعادة إستراتيجية "قم أم القرى" التي مهد لها علي لاريجاني وصارت تدرس كمنهج في المعاهد الأمنية والعسكرية الإيرانية، وتتلخص في نقل مركز العالم الإسلامي من مكة المكرمة إلى مدينة قم.

وبالنسبة إلى نصر تُعدّ الحرب بين إيران والعراق (1980 – 1988) اللحظة الحاسمة في تاريخ إيران الحديث. قُتل مئات الآلاف، وشُرد الملايين في صراع كلّف مئات المليارات، واستهلك بحلولٌ عام 1988 ثلثي دخل البلاد.

وليس من المستغرب أن المؤسسات المشاركة في التخطيط للحرب وفرضها على العراق وخوضها بذريعة "تحرير القدس يبدأ من كربلاء" أصبحت العمود الفقري للدولة الإيرانية. ولم يكن أقل أهمية من ذلك الشعور بالصدمة الوطنية وظهور سردية "الدفاع المقدس" التي تضمنت إنشاء مجموعة من التحالفات والميليشيات التي تمارس من خلالها إيران نفوذها وتتحدى النظام الإقليمي وتشكيل ما يسمى بالهلال الشيعي الذي يمتد من إيران حتى ضفاف البحر المتوسط.

> بيتر فرانكوبان: الكتاب يتحدى فكرة أن السياسة الخارجية الإيرانية تعكس ببساطة قيمها الثورية أو حكومتها الثيوقراطية، ويقدم رؤى جديدة قيّمة حول ما تريده إيران وأسبابه

ومن هذا المنظور يُشير إلى أن القيادة الإيرانية لم تنظر قط إلى الأسلحة النووية كغاية في حد ذاتها، بل كوسيلة لضمان الردع التكنولوجي والنفوذ الإستراتيجي. وكان الحفاظ على الغموض والنفوذ بالغ الأهمية، إلى درجة أن القيادة وافقت عام 2015 على خطة العمل الشاملة المشتركة.

ويكتب ولي نصر أن الاتفاق "حدّ من برنامج الصواريخ الإيراني، لكنه لم يُلغه" مقابل تخفيف العقوبات. وقد مكّن هذا إيران من الحفاظ على مكاسبها الإستراتيجية مع تخفيف الضغوط الاقتصادية. إلا أنه لم يكن تخليًا عن المقاومة.

انتفاضة المرأة، الحياة، الحرية

كان الأمر مشابهًا لاحتجاجات "المرأة، الحياة، الحرية" واسعة النطاق عام 2022 التي أعقبت وفاة مهسا أميني، البالغة من العمر 22 عامًا، والتي أصيبت بجروح بالغة في الرأس بعد احتجازها من قبل شرطة الآداب.

وفي الغرب اعتُبرت انتفاضة الشباب في إيران دليلاً على أن عزلة طهران تُجدي نفعًا وستُجبر القيادة على تخفيف قبضتها. بيد أن ولي نصر يرى أن خامنئي توصل إلى استنتاج معاكس: أظهرت الاحتجاجات والقمع الذي تلاها أن إيران "تنتصر، وتقترب من أهدافها."

ويقول نصر إن المرونة التكتيكية هي السمة المميزة للإستراتيجية الإيرانية. لقد أثبتت طهران براعتها في السعي وراء الانفتاح الدبلوماسي، والتقارب الإقليمي، واستغلال الفرص الواعدة، بالإضافة إلى ضبط النفس المدروس: جميعها أدوات تُعزز عقلية الحصار الراسخة. وبالتالي، فإن المصالحة المفاجئة بين إيران والسعودية في عام 2023 لا تُقدم على أنها تحول إستراتيجي، بل جهد مدروس لكسب مساحة للتنفس دون التخلي عن منطق المقاومة وسياسة الهيمنة على المنطقة عبر أذرعها من الميليشيات. وبالمثل، تُصوّر العلاقات المتنامية مع روسيا والصين على أنها تحوطات براغماتية ضد الضغوط الغربية، وليست إعادة تنظيم أيديولوجي.

ويضع ولي نصر، علي خامنئي، في موقع المهندس والمسؤول الرئيسي عن إستراتيجية إيران الكبرى، التي لا تقتصر رؤيتها للعالم على البعد السياسي فحسب، بل تشمل أيضًا البعد الطائفي. ووفقًا للمؤلف، يرى خامنئي إيران نموذجًا يُحتذى به في دول الجنوب العالمي، وحصنًا منيعًا ضد التعديات الغربية. وتتحدث وثيقة إستراتيجية طويلة المدى، بعنوان "رؤية 2025، عن جعل إيران "القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية الرائدة في غرب آسيا."

ويبدو هذا متفائلاً أكثر مما ينبغي في الوقت الراهن بعد انكسار مشروع إيران في سوريا ولبنان وغزة. ومع ذلك وفق بيتر فرانكوبان، فهو يعكس طموح طهران، وشعورها بمصيرها، ونظرتها إلى الماضي، حيث تُعدّ التواريخ الفارسية والشيعية محورية إقليميا. ومن المهم عدم الاستهانة بمهارات قيادة عاشت هزيمة الحرب مع العراق وتجرعت السم مع الخميني وخاضت ثلاث حروب باردة لما يقرب من خمسين عاماً مع إسرائيل والمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة، في الوقت الذي ترزح فيه تحت عقوبات دولية شديدة، وتواجه اغتيال ضباط عسكريين بارزين أبرزهم الجنرال قاسم سليماني زعيم فيلق القدس عام 2020، وعلماء، وشخصيات مؤثرة.

عين على مجتبى

يُشير ولي نصر في متن كتابه، بشكل مُثير للاهتمام، إلى أن مجتبى، الابنُ الثاني لخامنئي، هو الشخص الذي يجب مُتابعته.

ويرتبط مجتبى ارتباطًا وثيقًا، ليس فقط من خلال الروابط العائلية، بل أيضًا من خلال خدمته العسكرية في كتيبة حبيب بن مظاهر الأسدي "أحد قادة جيش الحسين بن علي في معركة كربلاء" النخبوية. هذه الروابط وحدها تُمثل دليلاً قويًا على ذلك؛ فحقيقة أن الكتيبة ومجتبى قاتلا بشكل بارز خلال الحرب مع العراق هي الأهم.

وفي النهاية يمكن أن نشارك مؤلف كتاب "الإستراتيجية الكبرى لإيران" ولي نصر حزمة أسئلة من دون أن ننتظر الإجابات السريعة، بقدر ما يشغلنا الترقب وما ينتظر المنطقة في الأشهر والسنوات القادمة من تداعيات تتجاوز بكثير أروقة السلطة في طهران والحلقة المقربة من المرشد علي خامنئي.

فكل شيء يتوقف الآن على ما إذا كانت إيران تدرك ضرورة تطويعها للثعلب، إذا أرادت النجاة من الظروف القادمة.

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

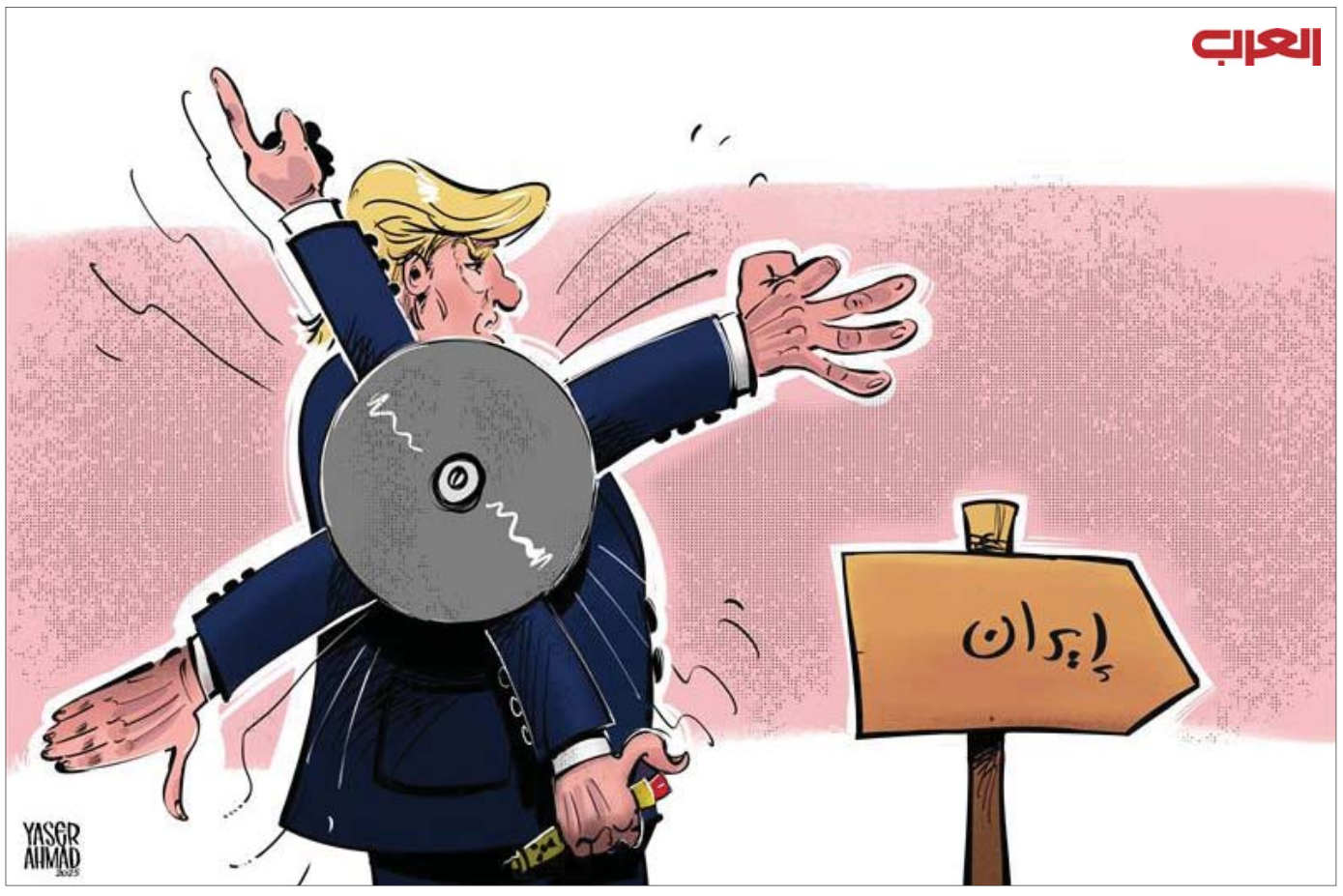

العراقيون بين حاجتهم إلى التغيير وإرادتهم المعطلة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

تنسف الكثير من الوقائع فكرة انتمائنا نحن العراقيين إلى العصر الحديث. هناك تناقض مريع بين استعمالنا للهاتف الخلوي وإيماننا بتقديس الموتى من الأولياء والصالحين الذين نعتقد أنهم سيشفعون لنا في الحياة الآخرة، وبين استعمال السيارات رباعية الدفع والمسيرات الجنائزية التي يغلب عليها اللطم والعويل والمشي كيلومترات على الأقدام من أجل استحضار لحظة مر عليها أكثر من 1400 عام. لكن هناك انتخابات ومجلس نواب وسلطات ثلاث يشرف عليها نظام تعددي مادته الطوائف المتناحرة أما أسلوبه الديمقراطي فهو اختراع محلي يتناسب مع حاجة الأحزاب المهيمنة على السلطة إلى الشرعية أمام العالم. ليس ذلك خبرا مثيرا غير أنه الخبر الوحيد الممكن. ستكون هناك انتخابات، ولكنْ هناك اتفاق على أن تلك الانتخابات التي يُنفق عليها رسميا نصف مليار دولار لن تُحدث تغييرا في بنية النظام السياسي في العراق. سيظل الوضع على ما هو عليه. الأحزاب الحاكمة اليوم ستعود من خلال أغلبيتها البرلمانية إلى حكم العراق. تحتاج تلك الأحزاب إلى شرعية صورية تمكّنها من الاستمرار وهو ما تحصل عليه من خلال شراء الأصوات. في عراق فقير لا بد أن تُشترى الأصوات بأبخس الأثمان. بطانية أو مدفأة أو كيلوغرامات من العدس أو دجاجة مجمدة، ذلك ما انتهى إليه العراق الجديد بعد أكثر من عشرين سنة على سقوط نظام صدام حسين الاستبدادي إثر احتلال العراق عام 2003. وهو ما يعني أن العراقيين لم يربحوا في الحدود الدنيا حرية أصواتهم. كانوا مكمّمين من قبل وهم اليوم يبيعون أصواتهم أي أنهم من غير أصوات. ولكنْ هناك فرق ما بين أن يُجبر المرء على الصمت وبين أن يضع صوته في خدمة مَن يفسد عليه حياته. العراقيون يذهبون إلى الانتخابات لإضفاء شرعية على الفاسدين.

ستكون هناك انتخابات ولكنْ هناك اتفاق على أن تلك الانتخابات التي يُنفق عليها رسميا نصف مليار دولار لن تُحدث تغييرا في بنية النظام السياسي في العراق

ولكن هل يكون الشعب موقع إشفاق في هذه الحالة؟

يسعى مقتدى الصدر وهو زعيم تيار شعبي كبير إلى أن يلعب لعبة مزدوجة. فهو من جهة يدعو أتباعه إلى عدم المشاركة في الانتخابات لأن نتائجها ستذهب إلى جيوب الفاسدين الذين سبق لهم واحدا بعد الآخر أن نددوا بالفساد، وهو من جهة أخرى لا يدعو إلى تغيير النظام. سبب ذلك الخطاب المزدوج يكمن في أنه أولا يسعى إلى تبرئة تياره من الفساد الذي أدى إلى استمرار الدولة العراقية الناشئة في فشلها وثانيا أنه لا يملك برنامجا سياسيا بديلا يتيح له الاستمرار في الحفاظ على مكتسباته ومكتسبات تياره من نظام المحاصصة الطائفية الذي أقامه الأميركان على حطام النظام السياسي السابق الذي ودّع العراقيون مع رحيله دولتهم الحديثة التي ناهز عمرها التسعين سنة. تناقض ليس غريبا عن الحياة العراقية العامة التي هي ثمرة تلاقح عاطفة شديدة الاشتعال وقسوة هي الظاهرة التي زادتها الأحزاب قوة وأكسبتها تاريخا تخلل كل مفاصل التحولات السياسية الكبرى التي شهدها العراق في القرن العشرين. وإذ يحن العراقيون إلى ما يسمّونه "الزمن الجميل" في مواجهة حاضرهم الكئيب، فإنهم لا يراجعون تلك الثنائية بطريقة نقدية بل يمرّون خفافا بالصور الوردية المقتطعة بطريقة انتقائية من ذلك التاريخ الذي عصف بهم من الداخل ومكنهم بيسر من أن يحولوا مجتمعهم المدني المتحضر إلى مجموعات متناحرة من الطوائف والأعراق والأديان والعصبيات القبلية والحزبية. لقد أثبتت التجربة المرة عبر أكثر من عشرين سنة أن التراجع عن الظواهر المدنية والقيم الحضارية ممكن في العراق لا بسبب الاحتلال الخارجي بل بسبب مجموعة الأخطاء التي كانت جزءا من البنية الداخلية للحياة العراقية التي رافقت قيام الدولة العراقية الحديثة. ولو لم يكن الأمر كذلك لما تمكن حزبيو الزمن الطارئ من الهيمنة على ثروات العراق وإنفاقها بما يناسب شهواتهم الشخصية.

وليس صحيحا أن الشعب العراقي غير قادر على إحداث تغيير كبير في حياته الشاملة بدءا بجانبها السياسي. لقد أكدت تجربة الاحتجاجات المليونية التي بدأت في تشرين 2019 أن كلمة الشعب الرافضة والمتمردة والموحدة قادرة على العصف بالنظام السياسي القائم بدليل أن النظام اضطر إلى إسقاط حكومة عادل عبدالمهدي والاستعانة بمصطفى الكاظمي لتشكيل حكومة بديلة. غير أن ما لا يمكن إنكاره أن النهاية المحبطة لتلك الاحتجاجات كانت قد حدثت لا بسبب عمليات القتل الممنهج التي نفذتها الميليشيات فحسب بل وأيضا بسبب افتقار المحتجين إلى الإيمان بقيادة موحدة. لم يتعلم العراقي سوى الإذعان للقوة. كلما كانت الدولة قوية كلما كانت الأمور تجري بطريقة حسنة. لقد كان حدثا إعجازيا أن تقع تلك الاحتجاجات وأن تتمكن قيادتها من ضبطها في ذلك الزمن القصير. ليس العراقيون منضبطين إلا في ظل الفوضى التي تبرمجها النظريات الخيالية. وهنا يكمن السر في تمكن الأحزاب من تمرير فسادها تحت شعارات دينية زائفة.

تكتيك إدامة الحرب في غزة.. ياسر أبوشباب نموذجا

حميد قرمان
صحافي وكاتب سياسي

لديّ قناعة تامة بأن منظومة اليمين الإسرائيلي الحاكم في تل أبيب بقيادة بنيامين نتنياهو تريد إبقاء حد أدنى من سلطة حركة حماس في القطاع، هربًا من استحقاقات العملية السياسية التي تشكل مناخها بعد السابع من أكتوبر المشؤوم، بضغط متزايد من أطراف دولية وازنة، في مقدمتها المملكة العربية السعودية، من أجل وقف الحرب وإيجاد مسار سياسي وزمني يفضي إلى تنفيذ حل الدولتين.

لا يمكن إغفال سعي رئيس منظومة اليمين الحاكمة دفع مقدمات اقتتال داخلي أو حرب أهلية يديرها الجيش وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية لتمرير مخططات التهجير التي تستغرق وقتًا دون ضجيج السردية الفلسطينية المتمسكة بوقف الحرب والبقاء على الأرض وتجسيد الدولة.

ولا يمكن تجاهل محطة الانتخابات القادمة، والتي يراوغ بنيامين نتنياهو بسيناريوهات تملأ فراغ سير الحرب ورتابتها للوصول إليها بشعبية تحقق له البقاء ضمن معادلات الأغلبية في الكنيست.

من هذه المنطلقات؛ فإن التسريبات الصحفية الإسرائيلية وتأويل التصريحات من قادة أحزاب معارضة لحكومة نتنياهو – الذين علقوا واعترفوا ضمنيًا بتمويل وتسليح هذه المجموعات – تخفي جزءًا من الحقيقة.

فمن قال إن الرواية الإسرائيلية التي تم ترويجها هي الحقيقة الوحيدة أو المطلقة التي يجب الأخذ بها والتعامل معها؟ وهنا تتولد تساؤلات محقة: ألم تدعم إسرائيل وأجهزتها ومؤسساتها الأمنية حكم حماس في غزة لضرب وحدة الكيانية السياسية الفلسطينية، وتؤدي إلى حل الدولتين؟

ألم تتعامى تل أبيب ودوائرها السياسية والأمنية على تحركات ميليشيات حماس أثناء انقلابها في العام 2007، في تأييد إسرائيلي واضح للخطوة الانقلابية؟

ألم تُرسل الأموال إلى حركة حماس لإدامة أسباب استمرارية حكم الحركة؟

ألا يعقل أن يتم توظيف هذه الظاهرة لتأخذ مداها، لتكن بمثابة فريسة سهلة ولقمة سائغة لبقايا قوى وعناصر حركة حماس، للقضاء على أيّ فكرة تدعو إلى خلق جسم بديل عن سلطة الحركة في القطاع، خاصة في ظل تنامي حركات احتجاجية على سلطة حماس وبقايا وجودها في غزة؟

ألم تقضي حماس وسلطتها الأمنية على تشكيلات سلفية جهادية في القطاع طيلة العقدين السابقين، بل اعتمدت طرق العنف المفرط لإنهاء هذه الظواهر المسلحة؛ مثل جماعة جند أنصارالله وتصفية قائدها وعدد من أتباعه؟

لا يمكن، بعد كل ما جرى ومرّ على الشعوب العربية بشكل عام والشعب الفلسطيني بشكل خاص، أن نسلم دائمًا للرواية الإسرائيلية وكأنها مسلّمات لا يجوز كسرها؛ ولا يعقل أن نتعاطى مع ما يصدر من حركة حماس على أنه حقائق وطنية، فتخوين مجموعات من الشعب الفلسطيني تريد الانتفاضة بوجه حماس وممارساتها العبثية سواء السياسية أو العسكرية، مفردة حاضرة دائمًا في قاموس الحركة السياسية.

من جهة أخرى، لمن يقول إن هذه المجموعات تعمل تحت أعين ومحراب الاحتلال وقوات جيشها، فإن حماس أيضًا تعمل تحت أنظار إسرائيل وتطلق الصواريخ وتنفذ الكمائن.

في المقابل، الحديث عن سرقة المساعدات؛ فإن شعب غزة يدرك من يدير عمليات النهب وتوزيعها للتجار لبيعها بأضعاف ثمنها الحقيقي.

البيان الصادر من عشيرة ياسر أبوشباب لا يمكن الاستناد عليه، كون هذا البيان صادر من حلفاء لمستويات قيادية داخل حماس، فلا يمكن الجزم بما يقال دون تحقيق رسمي يكشف الحقائق بمعزل عن تسييس هذه التجارب.

اليوم، أيّ تحرك شعبي جدي هدفه الإطاحة نهائيًا بحكم حماس من قبل الغزيين المنكوبين، سيقارن بنموذج ياسر أبوشباب المتهم بالخيانة والعمالة.

لذلك، لا يمكن السماح لحماس بالتعميم على أيّ انتفاضة ضد وجودها في القطاع، خاصة وأن الشارع الغزي يغلي أمام ممارسات قيادات الحركة وعبث عناصرها.

الحقيقة الوحيدة هي معاناة الغزيين

«الشبح».. أمل أهل غزة الأخير

عبدالباري فياض
كاتب وصحافي فلسطيني

تنزف غزّة دماءً لا تتوقف، دماء مقاتلين يواجهون قدرًا محتومًا، وأهال يدفعون ثمنًا باهظًا لصراع بات يهدد وجودهم، وفي خضم هذه المأساة التي تتكشف فصولها أمام أعين العالم، يبرز اسم عزالدين الحداد كمركز ثقل يمكنه أن يقلب موازين المعاناة إلى أمل، وأن يحوّل اليأس إلى خلاص، هذا ليس مجرد تحليل سياسي تقليدي، بل هو نداء للضمير وإدراك لثقل المسؤولية التاريخية التي يحملها رجل واحد في هذه اللحظة العصيبة.

لقّب عزالدين الحداد بـ"الشبح" لقدرته على التواري عن الأنظار ونجاته من ست محاولات اغتيال منذ عام 2008، هذا الرجل الذي يعتبر أعلى قائد عسكري باقٍ على قيد الحياة في صفوف حماس داخل قطاع غزة، يجد نفسه اليوم على مفترق طرق حاسم، بعد أن تولى قيادة الجناح العسكري لحماس بعد مقتل محمد السنوار، شقيق يحيى السنوار، ليصبح بذلك اللاعب المحوري الذي يمتلك مفاتيح القرار القادرة على وقف آلة الحرب المدمرة، فهو يدرك تمامًا حجم الخسائر البشرية والمادية التي تتكبدها غزة، ويرى بعينيه تشريد العائلات وتدمير البنى التحتية، وتحول القطاع إلى ركام، فهذه ليست أرقامًا على ورق، بل هي أرواح أزهقت، وأحلام تبددت، ومستقبل سُرق.

السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: هل سيستجيب الحداد لصوت العقل والمنطق، أم سيظل رهينة لحسابات ضيقة ومصالح قد تبدو آنية ولكنها ستكلف شعبه أجيالًا من الألم والندم؟ الفرصة سانحة أمامه اليوم ليصنع التاريخ، لا كقائد حرب وحسب، بل كصانع سلام حقيقي. فكل يوم يمر، وكل قطرة دم تسقط، تزيد من ثقل المسؤولية على كاهله، وقرار إنهاء الحرب ليس قرارًا سهلًا، فهو يتطلب شجاعة فائقة، وتضحية بمكاسب قد تبدو إستراتيجية للبعض، ولكنه في جوهره قرار إنساني بحت يعلي قيمة الأرواح فوق كل اعتبار.

الحداد، الذي نشأ في صفوف حماس منذ تأسيسها عام 1987 وتدرّج حتى أصبح قائد لواء غزة عام 2023، وكان من القلائل الذين اطلعوا على خطط عملية "طوفان الأقصى" مسبقًا، يواجه الآن تحديات لم يسبق لها مثيل. فبينما يمسك بملف الرهائن الإسرائيليين، الذين يُقدر عدد الأحياء منهم بنحو 21 شخصًا، ما يمنحه أوراق ضغط مهمة في أيّ مفاوضات مستقبلية، يواجه في الوقت ذاته تقدمًا سريعًا للجيش الإسرائيلي في القطاع، فالتقارير تشير إلى أن الحداد، الذي فقد اثنين من أبنائه، ينظر إليه كشخصية راديكالية تتسم بالعناد والتصلب. وقد رفضت حماس مؤخرًا، تحت قيادته على الأرجح، مقترحًا لوقف إطلاق النار لمدة 60 يومًا بوساطة المبعوث الأميركي ستيف ويتكوف، لأنه لم يتضمن انسحابًا إسرائيليًا كاملًا. هذا الموقف المتشدد، وإن كان يعكس رؤيته، إلا أنه يضع عبئًا هائلًا على كاهله في ظل تفاقم الأزمة الإنسانية، وغياب المساعدات لأكثر من ثلاثة أشهر، ما يثير حالة من الجوع واليأس بين المدنيين، ويهدد بانفلات الأوضاع الداخلية.

علاوة على ذلك، يواجه الحداد تحديات جديدة تتمثل في صعود مجموعات مسلحة محلية تُعرف بـ"العشائر"، بعضها على صلة بتنظيمات متطرفة كداعش، وبعضها أقرب إلى العصابات المنظمة. هذا التشرذم الداخلي يزيد من تعقيد المشهد ويثقل كاهل قيادة الحداد.

السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: هل سيستجيب الحداد لصوت العقل والمنطق أم سيظل رهينة لحسابات ضيقة ومصالح قد تبدو آنية ولكنها ستكلف شعبه أجيالًا من الألم والندم

الحداد يتحمل ضغطًا هائلًا باعتباره آخر قائد بارز متبق داخل غزة، فهو يدرك أن الفشل في التوصل إلى تسوية قد يسجل اسمه كمن أشرف على سقوط غزة بيد الاحتلال. لكنه في الوقت عينه في حاجة إلى إثبات أنه لا يزال زعيمًا فعليًا. إن من يختار إنهاء الحرب في هذه اللحظة الفارقة، سيُخلّد اسمه في ذاكرة الأجيال كمن جلب الخلاص لشعبه. هذا الخلاص لا يعني الاستسلام أو التنازل عن الحقوق، بل يعني البحث عن مسار يضمن كرامة المواطن الفلسطيني ويحمي وجوده، والإصرار على استمرار المواجهة في ظل هذه الظروف القاسية، ودون أفق واضح للانتصار، هو ضرب من العبث الذي يدفع ثمنه الأبرياء.

أهل غزة ينظرون إلى الحداد على أنه الأمل الأخير، بعد أن أنهكتهم الحروب المتتالية وسنوات الحصار الطويلة التي فقدوا فيها الكثير، ولم يعد لديهم ما يخسرونه سوى حياتهم. فهم يتطلعون إلى يد تمتد إليهم لتنتشلهم من هذا المستنقع، وإلى قرار ينهي كابوسًا طال أمده.

إن التاريخ لا يرحم، والتخاذل في هذه اللحظة لن يمحوه الزمن. فإما أن يكون عزالدين الحداد بطل الخلاص الذي أعاد الحياة إلى غزة، أو أن يكون شاهدًا على استمرار نزيف الدماء ومعاناة شعبه. فالاختيار بين هذا وذاك هو اختيار بين الخلود والنسيان، بين النور والظلام، فالكرة الآن في ملعبه، والقرار قراره، ومصير غزة معلق بين يديه. فهل سيختار الخلاص؟

إنقاذ جامعة الدول العربية من التلاشي

أسامة رمضاني
رئيس تحرير
العرب ويكلي

قد يكون الجدل الذي أثارته التكهنات حول سعي مصر إلى ترشيح رئيس الوزراء مصطفى مدبولي لخلافة أحمد أبوالغيط في منصب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية فرصة خفية. تكتسي الحاجة إلى حوار حول مستقبل الجامعة أهمية حاسمة، حتى وإن كان من المرجح أن تثبت صعوبة مسألة تداول منصب الأمين العام أن العقليات لم تتطور إلى ما هو أبعد من اعتبار هذا المنصب مجرد تصويت بالثقة على وضع مصر القيادي. كانت القاهرة ولا تزال في طليعة القضايا العربية، وهي لذلك لا تحتاج إلى إقرار رمزي لإثبات مكانتها.

لا يمكن إلقاء اللوم على مسؤولي الجامعة الحاليين أو السابقين بالتسبب في الوضع الراهن ففي الكثير من النواحي تعكس أوجه قصور جامعة الدول العربية عدم تجانس الأنظمة السياسية في المنطقة

وينبغي، في الحقيقة، أن يُفضي انتخاب الأمين العام القادم للجامعة العربية، المقرر إجراؤه السنة القادمة، إلى اختيار الشخص الأكثر كفاءة، كما هو الحال في معظم المنظمات الإقليمية. وينطبق هذا بغض النظر عن جنسية المرشح، مع أن مصر لن تواجه، على الأرجح، أي مشكلة في تقديم مرشح مؤهل لتحمل هذه المهمة. وبغض النظر عن هذه المسألة الخلافية، ينبغي أن ينصبّ الاهتمام على أداء المنظمة العربية والحاجة الملحة لإنقاذها من التهميش.

لا بد من الاعتراف بأن هذه الفترة ليست سهلة على الجامعة العربية في ظل الاضطرابات الإستراتيجية الكبرى والتحولات الجارية التي تزعزع استقرار المنطقة. لقد واجهت معظم دول المنطقة، بغض النظر عن الاضطرابات الحالية الناجمة عن حرب إسرائيل الوحشية على غزة، تحديات أمنية خطيرة، ما دفع الكثيرين إلى البحث عن تحالفات خارج المجال العربي. ويُقرّ منتقدو هذه التحركات أنفسهم بأن المظلة الأمنية العربية الشاملة لم توجد قط، وأن ظهورها في المستقبل القريب يبدو غير مرجح.

لقد جعل التنافس الشرس بين القوى العالمية على النفوذ في المنطقة، إضافة إلى التدخل العدواني لأطراف إقليمية غير عربية، التدخل الأجنبي أمرًا حتميًا. ومن المرجح أن يستمر هذا الاتجاه إلى حين توصل الدول العربية إلى تسوية مؤقتة لحماية مصالحها الأمنية المشتركة. كثيرًا ما تُنتقد جامعة الدول العربية لفشلها في معالجة الأزمات الأمنية التي تعاني منها الدول الأعضاء. صحيح أن المنظمة لم تبذل أيّ جهود جادة لوضع حد للحروب الأهلية التي دمرت ليبيا واليمن وسوريا، ولم تحاول الجامعة، على عكس الأطراف الدولية أو الإقليمية الأخرى، التوسط في الصراع السوداني الكارثي. وأبدت الجامعة، على مدى أكثر من أربعين عامًا، اهتمامًا ضئيلًا بحل النزاع بين الجزائر والمغرب حول الصحراء الغربية، وظلت النزاعات الأقل أهمية تُهمّش منهجيًا.

ومع ذلك، لا يمكن إلقاء اللوم على مسؤولي الجامعة الحاليين أو السابقين بالتسبب في الوضع الراهن، ففي الكثير من النواحي، تعكس أوجه قصور جامعة الدول العربية عدم تجانس الأنظمة السياسية في المنطقة، وتفكك إستراتيجياتها وتحالفاتها. وبمرور الزمن، عُرفت الجامعة ببيروقراطيتها المتضخمة، حيث تُخصص ميزانيتها بشكل رئيسي لرواتب الموظفين. وفي الحقيقة، ليس من المفترض أن تكون هذه المنظمة مؤسسة تُركز على النتائج، لأنها افتقرت من البداية إلى الأدوات الضرورية لوضع قراراتها الحاسمة موضع تنفيذ.

اعتماد الجامعة المستمر على اتخاذ القرارات بالتوافق وغياب آليات التنفيذ أدى إلى تجريدها من أيّ نفوذ حقيقي. ولم يتمكن أيّ أمين عام، بغض النظر عن كاريزميته أو رؤيته، من التغلب على هذا الضعف الجوهري. وعلى سبيل المثال، لا تمتلك الجامعة أيّ أدوات تخول لها معالجة الكوارث الطبيعية أو الأزمات الصحية الكبرى. فخلال جائحة كوفيد – 19، كان من المحبط رؤية جامعة الدول العربية متأخرة عن المنظمات الإقليمية الأخرى، بما في ذلك الاتحاد الأفريقي، الذي طالب بوصول عالمي أكثر عدالة إلى اللقاحات.

من الأخطاء الأساسية التي ارتكبتها الجامعة فشلها في منح الأولوية للتكامل الاقتصادي بعد إنشائها سنة 1945. وكان من الممكن أن يضع الدافع الاقتصادي المنظمة على أرضية أكثر صلابة. ورغم المعاهدات والاتفاقيات، لم يتجاوز التكامل التجاري بين الدول العربية 12 في المئة مقارنة بنسبة تتراوح بين 60 في المئة و70 في المئة داخل الاتحاد الأوروبي.

ولا يزال التقدم في الوحدة الجمركية والنقدية بعيد المنال، كما أن الترابط بين البنى التحتية لا يزال ضئيلًا.

جامعة الدول العربية لا تزال في حاجة ماسة إلى إعادة التواصل مع شعوب العالم العربي، التي خاب أملها في هذه المنظمة لعجزها عن إحداث تغيير حقيقي. وتُنتقد القمم والاجتماعات الوزارية باعتبارها مناسبات احتفالية تُصدر فيها إدانات غير فعالة لإسرائيل، إلى جانب تأكيدات عامة على التضامن العربي. لكن نهج الجامعة لا يتوافق مع عقليات شباب اليوم المتغيرة بسرعة ومع توقعاتهم العالية.

وكما هو متوقع، جعل إحجام الجامعة عن تناول المواضيع الخلافية أو الاستقطابية مناقشاتها راكدة، في حين ينتظر الجمهور (لا سيما في عصر وسائل التواصل الاجتماعي) خطابًا مفتوحًا وصريحًا. كما لا تزال الجامعة العربية عاجزة عن منح الأجيال الشابة أملًا في المستقبل، في حين يفر الكثيرون من أوطانهم بأعداد كبيرة. ولم تقدّم المنظمة سوى القليل لدعم الشباب العربي في سعيهم لتحسين فرص العمل والتعليم أو التقدم في العلوم والتكنولوجيا.

وتعاني الجامعة اليوم، إلى جانب انفصالها عن الشباب، من فجوة كبيرة في مصداقيتها لدى الجمهور العربي الأوسع، الذي لا يزال مدفوعًا بالروابط العاطفية المتينة بين منطقتي الخليج والمغرب العربي، المتمثلة في اللغة والدين والثقافة.

وتضع تطلعات هذا الجمهور معيارًا قد يكون تحقيقه بعيدًا عن منال الجامعة في شكلها الحالي. وتواجه المنظمة، رغم مرور ثمانين عامًا على تأسيسها، تحديات كبيرة، ولكن هذا لا يعني أنها ستفقد أهميتها حتمًا. لكن تجنب هذا المصير القاتم يتطلب مراجعة نظامها الأساسي وهيكلها الداخلي وإجراءاتها التشغيلية، ولا يمكن مواصلة تأجيل هذه المهمة إلى الأبد.

عقود نفط أربيل تثير حفيظة بغداد

د. كوفند شيرواني
أستاذ جامعي وخبير نفطي

تفتخر شعوب الأرض عندما تمتلك موارد طبيعية توفر لها حياة كريمة ومترفة، وأكثر ما تفخر به هي الثروات المعدنية كالفحم والنفط والغاز الطبيعي وغيرها من الثروات التي تُعد حاليًا المصادر الرئيسية للطاقة في العالم.

وتدعم الشعوب كذلك جهود حكوماتها الساعية إلى استثمار هذه الثروات وتطويرها وتنميتها وتسخير عوائدها لخدمة ورفاه المواطنين، الذين هم أصحاب هذه الثروات.

غير أن هذه الصورة تبدو مختلفة في العراق الجديد، فالثروات ومحاولة استغلالها تصبح أحيانًا مصدرًا لمعضلات وخلافات جديدة تُضاف إلى العديد من سابقاتها.

مثال ذلك ما حصل قبل ثلاثة أسابيع تقريبًا، حين وقّعت وزارة الثروات الطبيعية في حكومة إقليم كردستان – العراق عقدين مع شركتين، أميركية وكندية، لتطوير إنتاج الغاز الطبيعي في منطقة السليمانية بالإقليم.

وقد جرت مراسم توقيع العقدين في العاصمة الأميركية واشنطن، وبرعاية مسرور بارزاني، رئيس حكومة الإقليم. مراسم توقيع العقدين حظيت بتغطية إعلامية واسعة، ومنحت بعدًا سياسيًا ودبلوماسيًا كبيرًا، تعزز بعد أن أيدتها الحكومة الأميركية، ممثلةً بوزارة الخارجية، وأعداد كبيرة من أعضاء الكونغرس الأميركي، حيث وصفت هذه العقود بأنها نموذج ملهم للشراكة في مجال الطاقة.

استأثرت هذه العقود بأهمية متميزة بين عقود الطاقة السابقة مع العديد من شركات استثمار النفط والغاز في المنطقة لعدة أسباب:

السبب الأول يكمن في أن هذه العقود تختص بالغاز الطبيعي، الذي أصبح محل اهتمام العالم، خاصة بعد تراجع إمدادات الغاز الروسي إلى أوروبا، وتضاعف أسعاره في أسواق الطاقة إلى أربعة أضعاف ما كانت عليه قبل اندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية في شباط 2022.

الأمر الآخر هو ضخامة هذه العقود وكلفتها المالية المرتفعة، التي تجاوزت 100 مليار دولار، وبذلك تُعد عقودًا إستراتيجية، فهي تشير إلى حجم التجمعات الغازية والنفطية التي يمكن إنتاجها واستثمارها في هذين الحقلين، اللذين تتجاوز الاحتياطات التخمينية للغاز الطبيعي فيهما 10 تريليونات قدم مكعبة قياسية.

الأمر الثالث الذي منحها أهمية، أن هاتين الشركتين المتعاقدتين (أميركية وكندية)، وأن توقيع العقود معهما يمثل نقطة فارقة في صناعة النفط العراقية، إذ لم تحصل الشركات الأميركية ولا الأوروبية على مشاركة أو حصة جديرة بالاعتبار طوال جولات التراخيص التي أعلنتها وزارة النفط العراقية منذ أكثر من 10 سنوات.

يحتل قطاع الطاقة مكانة متميزة في برنامج إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، التي استلمت مقاليد الحكم في العشرين من يناير من العام الحالي، وبالتالي ستحظى هذه التعاقدات بدعم لافت من الإدارة الأميركية.

لم يتأخر رد الحكومة العراقية في رفض هاتين الاتفاقيتين، فبعد يوم واحد من توقيعهما (أي يوم 20–5–2025)، صدر بيان من وزارة النفط، فاحت منه بوضوح رائحة السياسة، حيث تضمن أن هذه الاتفاقيات غير دستورية وغير قانونية لأنها حصلت دون موافقة وعلم وزارة النفط الاتحادية!

ولكن البيان الذي أصدرته الوزارة في اليوم التالي أشار إلى أن الوزارة لا تمانع في التعاقد مع الشركات الأميركية، شريطة أن يتم ذلك بعلمها.

وتصاعدت ردود الأفعال المسيّسة لتصبح أكثر حدة، فبعد أيام أقامت وزارة النفط دعوى قضائية على حكومة الإقليم، في محاولة لإجبارها على إبطال هذه العقود. ووصل التصعيد السياسي إلى أعلى مستوياته يوم الخميس 29–5–2025، حين قطعت وزارة المالية الاتحادية رواتب موظفي إقليم كردستان لشهر مايو وللأشهر المتبقية من العام الحالي، تحت ذرائع لا تقنع أحدًا.

كان واضحًا أن حكومة الإقليم كانت تتوقع صدور ردود فعل متسرعة وشديدة من الحكومة الاتحادية، ففي يوم توقيع العقود، صرّح رئيس حكومة إقليم كردستان مسرور بارزاني بأنه لا داعي للانزعاج من هذه العقود، فهي تصب في صالح العراق وكذلك الإقليم.

من جانبه أكد وزير الثروات الطبيعية في الإقليم، الذي وقّع العقود، أن هذه الاتفاقيات لا تستهدف أحدًا، وإنما تهدف إلى تحسين البنية التحتية لقطاع الكهرباء في الإقليم، لأنها تركز على توفير كميات إضافية من الغاز الطبيعي المستخدم كوقود لمحطات الطاقة الكهربائية، بهدف الوصول إلى الاكتفاء الذاتي من الكهرباء عند وصول الإنتاج إلى 8000 ميغاواط في الساعة.

وأشار مسؤولون وخبراء إلى أن هذه العقود وُقّعت استنادًا إلى الصلاحيات القانونية التي منحها دستور العراق لعام 2005 للإقليم، بموجب المادة (121) من الدستور، كما أن المشاركة بين الحكومة الاتحادية والأقاليم والمحافظات المنتجة للنفط في إدارة الحقول النفطية كرّستها بوضوح المادة (112) من الدستور العراقي.

أما حول وصف هذه العقود بأنها غير قانونية، فهذا الأمر يمكن رده بسهولة، حيث لا يوجد قانون نافذ للنفط والغاز في العراق الاتحادي، وبذلك لا يمكن وصف أيّ عقد يبرمه الإقليم أو المحافظات المنتجة بأنه غير قانوني، لعدم وجود قانون ينظم صلاحيات ومسؤوليات توقيع عقود النفط والغاز وحيثياتها.

وعلى العكس من ذلك، فإن حكومة الإقليم قد أصدرت في العام 2007 قانونين: قانون رقم (21)، وهو قانون وزارة الثروات الطبيعية في الإقليم، الذي يوضّح واجبات الوزارة في إدارة القطاع النفطي وعمليات الاستكشاف والإنتاج والتسويق والمعالجة وغيره. والقانون رقم (22)، وهو قانون النفط والغاز في الإقليم، الذي يتضمن المراحل والعمليات المختلفة في إدارة هذه الصناعة النفطية في الإقليم.

تعمل وزارة النفط الاتحادية بشكل جاد وحثيث، خاصة بعد تسلّم محمد شياع السوداني الكابينة الوزارية منذ العام 2021، على زيادة استثمار الغاز الطبيعي المصاحب للنفط، والذي تُحرَق منه الملايين من الأقدام المكعبة يوميًا في معظم حقول العراق.

وذكرت وزارة النفط في عدة بيانات أنها تعمل بجد على استثمار الغاز المصاحب وتقليل كمية الحرق تدريجيًا، وتخطط للوصول إلى نسبة استثمار الغاز بنسبة 70 في المئة في نهاية العام الحالي، و100 في المئة بحلول العام 2028.

وعليه، فإن عقود الإقليم الجديدة التي تركز على إنتاج الغاز الطبيعي واستثماره تُعد مكملة ومنسجمة مع جهود الحكومة الاتحادية، إذ أن كل ما يُكتشف من احتياطيات جديدة في الإقليم سيمثل إضافة إلى الرصيد (الاحتياطي) العراقي من الغاز الطبيعي.

وفي تصريح رسمي من الوزارة، يمتلك العراق احتياطيات ضخمة من الغاز الطبيعي تتجاوز 127 تريليون قدم مكعبة قياسية (مقمق)، ما يضعه في المرتبة الحادية عشرة أو الثانية عشرة على مستوى العالم من حيث الاحتياطي الغازي.

طورت وزارة الثروات الطبيعية في الإقليم حقولًا متميزة للغاز الطبيعي، وحققت بالتعاون مع شركات إماراتية معدلات إنتاج عالية تجاوزت 500 مليون قدم مكعبة قياسية يوميًا، وتهدف إلى تحقيق إضافات كبيرة في إنتاج الغاز الطبيعي عبر العقود الجديدة الموقعة في واشنطن.

يعتقد بعض المحللين أن هذه الإنجازات في قطاع استثمار الغاز الطبيعي، من قبل حكومة الإقليم الحديثة ذات الموارد والخبرات المحدودة، أثارت حفيظة وزارة النفط الاتحادية، التي شعرت بتلكؤ برامجها في استثمار الغاز، رغم مرور عقدين على تشريع الدستور العراقي.

ثمة عامل آخر، وهو أن تطوير إنتاج الغاز الطبيعي في الإقليم واحتمالية تزويد كميات منه إلى محافظات عراقية أخرى، سيُعجّل، وبالتزامن مع جهود وزارة النفط المستمرة في عزل الغاز المصاحب في العديد من حقول الجنوب، في الوصول إلى الاكتفاء الذاتي والاستغناء عن استيراد الغاز والكهرباء من إيران.

وهذا الأمر ترفضه أطراف عراقية موالية لإيران، ولها نفوذ في معظم مفاصل الدولة العراقية. هذه الأطراف تعمل منذ سنوات وبشكل ممنهج على إبقاء العراق مستوردًا للغاز والكهرباء من إيران، وتسديد فواتير باهظة تصل إلى نحو 8 مليارات دولار سنويًا.

وثمة شواهد على ذلك، منها:

الاستهداف المتكرر لحقل غازي ضخم في الإقليم (حقل كورمور)، وعرقلة استثمار حقل غازي عملاق في محافظة الأنبار (حقل عكاز)، إضافة إلى التلكؤ في استثمار حقول غازية أخرى مثل حقل المنصورية (محافظة ديالى).

تتمنى دول عديدة أن تمتلك نصف ما يمتلكه العراق من خيرات وفيرة، على رأسها النفط والغاز، ومن المؤسف أن الإدارات الضعيفة وغير المهنية المتعاقبة لقطاع النفط والغاز لم تحرم الشعب العراقي من كامل ثرواته وحسب، بل استغلّت هذه الثروات وإيراداتها كأدوات في الألاعيب والمكائد السياسية.

ثروات للتنمية أم ألاعيب سياسية

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني
مدير التحرير
مختار الدبابي
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

مسار صناعة الطيران عند مفترق التوترات العالمية

معرض باريس المقرر الأسبوع المقبل يستعد لطلبيات جديدة رغم الصراعات وتوقعات الرسوم الجمركية

يسعى مصنعو الطائرات إلى مواصلة العمل كالمعتاد بطلبيات ضخمة خلال معرض باريس الأسبوع المقبل، رغم الرسوم الأميركية وتصاعد التوترات الجيوسياسية وهشاشة سلاسل التوريد التي تُهزّ الصناعة، وسط تفاؤل حذر بنمو الأعمال مع انتعاش سوق النقل الجوي.

باريس - يُتيح أكبر معرض تجاري للطيران في العالم، والذي يُقام في الفترة من السادس عشر إلى العشرين من يونيو في لو بورجيه بفرنسا، لمصنعي الطائرات منصة رئيسية لعرض أحدث التقنيات، مثل الذكاء الاصطناعي والقيادة الذاتية، مع الإعلان عن طلبات تتصدر العناوين.

وقد تفتتح أيرباص المعرض بطلبيتين رئيسيتين من السعودية الاثنين المقبل، مما يُظهر نموا قويا في قطاع السفر الجوي في الخليج، بينما تواجه منافسة من شركة إمبراير البرازيلية على طلب محتمل لنحو 100 طائرة أي 220 صغيرة من طيران آسيا.

ومن المتوقع أن تستحوذ بوينغ، التي تراجعت أسهمها في أعقاب تحطم طائرة تابعة للخطوط الهندية طراز 787، على الجزء الأكبر من عملية إعادة هيكلة أسطول الخطوط الملكية المغربية، أحد زبائنها القدامى.

ومع ذلك يتجه عملاق صناع الطائرات الأميركية نحو أسبوع أكثر هدوءًا من منافسته أيرباص بعد استباقها هذا الحدث السنوي بطلبات شراء كبيرة خلال زيارة الرئيس دونالد ترامب الأخيرة إلى الخليج العربي.

أنطونيو دا كوستا

هناك توترات لكن المؤشرات المبكرة تمنحنا بعض الأمل

ريتشارد أبوالعافية

رغم الفوضى، سيكون الحدث بمثابة عرض جيد للطلبات

وعدّلت أيرباص الخميس توقعاتها للطلب على الطائرات خلال العقدين المقبلين، مُبلغةً المستثمرين والموردين بأن قطاع النقل الجوي قد يتجاوز موجة التوترات التجارية الحالية.

وترجح شركة صناعة الطائرات الأوروبية أن يُسلّم القطاع، الذي تُهيمن عليه هي ومنافستها بوينغ، 43420 طائرة تجارية بين عامي 2025 و2044، بزيادة قدرها اثنين في المئة عن توقعاتها السابقة التي أصدرتها قبل عام.

ويشمل ذلك 42450 طائرة ركاب، بزيادة قدرها اثنين في المئة عن التوقعات السابقة، منها 56 في المئة ستكون سعة إضافية و970 طائرة شحن مصنعة في المصنع، بزيادة قدرها 3 في المئة.

وتمسكت أيرباص بتوقعاتها السابقة بنمو حركة النقل الجوي بمعدل 3.6 في المئة سنويًا، رغم خفض توقعاتها للنمو السنوي للتجارة بمقدار نصف نقطة مئوية إلى 2.6 في المئة، وخفض توقعاتها لنمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي بشكل طفيف إلى 2.5 في المئة.

وصرح أنطونيو دا كوستا نائب الرئيس لتحليل السوق والتوقعات للصحافيين "هناك بالتأكيد بعض الاضطرابات بسبب الوضع الجيوسياسي والتجاري الأخير." وأضاف "لا يزال الوقت مبكرا جدا... ومع ذلك، فإن المؤشرات المبكرة تمنحنا بعض الأمل."

وأوضح دا كوستا أن النقل الجوي، المرتبط ارتباطا وثيقا بالاقتصاد وتزايد أعداد الطبقات المتوسطة ذات الدخل المتاح، أثبت مرارا قدرته على الصمود في وجه الصدمات.

وشهد قطاع الطيران اضطرابا بسبب الرسوم الأميركية التي فرضها الرئيس دونالد ترامب، واحتمالية اتخاذ الاتحاد الأوروبي إجراءات انتقامية، بالإضافة إلى التقلبات الحادة في الرسوم العقابية المتبادلة بين الولايات المتحدة والصين.

واتفق المسؤولون الأميركيون والصينيون الثلاثاء على سبل استعادة الهدنة التجارية وإلغاء القيود المتضاربة.

وصرح مسؤولو أيرباص بأن أحدث التوقعات تفترض أن الرسوم الأساسية البالغة 10 في المئة التي فرضتها إدارة ترامب على معظم الواردات ستبقى سارية لفترة من الوقت، على عكس الاضطراب الأعمق الذي تهدد به الرسوم العقابية الأكبر.

ودعا غيوم فوري، الرئيس التنفيذي لأيرباص، إلى العودة إلى تجارة الفضاء والطيران المعفاة من الرسوم، منضمًا إلى مجموعة من قادة الصناعة الأميركية في التحذير من أضرار حرب الرسوم.

ورفعت الشركة توقعاتها للطلب على الطائرات ذات الممر الواحد، مثل عائلة أي 320 نيو وطائرات 737 ماكس المنافسة، والتي تمثل أربعًا من كل خمس عمليات تسليم، بنسبة اثنين في المئة.

وعدّلت إيرباص توقعاتها لتسليمات طائرات الركاب عريضة البدن بنسبة 3 في المئة لتصل إلى 8200 طائرة. وقد شهد هذا القطاع من سوق طائرات المسافات الطويلة طلبا متزايدا، بقيادة شركات الطيران الخليجية.

> **2**
> في المئة مقدار الزيادة في توقعات أيرباص للطلب بحلول عام 2044 أي نحو 43420 طائرة

ووراء الكواليس، ستواجه شركات صناعة الطائرات التجارية، بالإضافة إلى شركات عملاقة في قطاع الدفاع وسلسلة التوريد مثل لوكهيد مارتن ورايثيون، تداعيات غامضة لإعلانات ترامب المتقلبة بشأن الرسوم والصراعات المتصاعدة.

وقال كريستيان شيرير، الرئيس التنفيذي لقسم صناعة الطائرات في أيرباص، "كنا نخرج للتو من الأزمة (بعد الوباء)، وبدأ بعض موردينا من المستويين الثاني والثالث يتنفسون الصعداء، والآن هذا الغموض".

ولكنه أشار إلى أن الشركة "متفائلة بحذر" بشأن قدرتها على تحقيق هدفها بتسليم 820 طائرة هذا العام، رغم الاختناقات التي تركت قرابة 40 طائرة مكتملة متوقفة في مصانعها بانتظار المحركات.

ورفعت الصفقة الأميركية – الصينية لاستعادة الهدنة التجارية الهشة المعنويات قبل انعقاد مؤتمر صناعة الطيران العالمي، لكن بعض المندوبين قالوا إن القطاع يتأقلم مع احتمال استمرار الرسوم الجمركية الأساسية البالغة 10 في المئة، مع ضغوطها من أجل إعفاءات.

وصرح ريتشارد أبوالعافية، المدير الإداري لشركة أيروديناميك أدفيسوري، قائلا "رغم كل هذه الفوضى، يُتوقع أن يكون هذا الحدث بمثابة عرض جوي جيد للطلبات، وخاصةً لشركة أيرباص، التي ستشارك في معرضها المحلي."

ومع ذلك، فقد قلبت سلاسل التوريد الضعيفة والتحالفات المتصدعة في التجارة والدفاع مسار سنوات من التخطيط لصناعة تبلغ قيمتها قرابة تريليون دولار، قبل أيام على قمة حاسمة لحلف الناتو.

وأدت الحرب في أوكرانيا والتوترات في الشرق الأوسط إلى تعطيل المجال الجوي، وإعادة توجيه حركة الشحن والركاب، وزيادة تكاليف التأمين. وبالتوازي مع ذلك يُعدّ الوصول إلى المعادن النادرة موضوعا ملحا آخر.

وستُناقَش أيضا المخاوف البيئية، التي عادةً ما تكون موضوعا بارزا في معارض الطيران، مجددا في عرض مُخصّص، ولكن قد يكون الحديث عنها خافتا نسبيا هذا العام مع استخفاف ترامب بالمبادرات البيئية.

وفي قمة عالمية لشركات الطيران هذا الشهر، أكّدت شركات الطيران التزامها بأهداف صافي الانبعاثات الصفرية، لكنها أعربت عن قلقها إزاء محدودية توافر الوقود المستدام وطائرات الجيل التالي.

التحليق في سماء الأزمات

وتباطأت أو توقفت مجموعة من الدراسات البارزة، مثل خطط أيرباص لطائرة ركاب تعمل بالهيدروجين. يقول مُصنّعو الطائرات إن استلام الطائرات الحالية التي تحرق وقودا أقل بنسبة 15 في المئة على الأقل هو أسرع طريقة للحد من الانبعاثات.

لكن عمليات التسليم تأخرت بسبب مشاكل الإمداد، ويقول دعاة حماية البيئة إن مُصنّعي الطائرات الذين يسعون جاهدين للحصول على المزيد من الطلبات يُثقلون كاهلهم بالاعتماد على الوقود الأحفوري لفترة أطول.

تونس ترصد نموا في حصيلة إيرادات الجمارك خلال 2025

تونس - كشفت وثيقة رسمية أصدرتها وزارة المالية التونسية حول متابعة تنفيذ الميزانية العامة للدولة أن حصيلة إيرادات الجمارك نمت خلال الربع الأول من العام الجاري بواقع 22 في المئة على أساس سنوي لتبلغ 548.1 مليون دينار (181.2 مليون دولار).

وبحسب البيانات التي أوردتها وكالة الأنباء التونسية الرسمية الخميس، فإن الحصيلة لا تتجاوز 2.7 في المئة من قيمة الواردات في الفترة بين يناير ومارس الماضيين والتي بلغت نحو 6.73 مليار دولار.

وتواجه الحكومة تحديات كثيرة في طريق تحصيل أكبر قدر ممكن من أموال الضرائب خلال العام الجاري لكي تتمكن من إدارة أزمة اقتصادية خانقة وسداد التزاماتها من الديون الخارجية وفوائدها.

وبحسب وثيقة النتائج الأولية لتنفيذ ميزانية الدولة حتى مارس 2025، فإن الرسم الجمركي تشكل 8.7 في المئة إجمالي الضرائب غير المباشرة والتي ناهزت حتى نهاية مارس نحو 2.08 مليار دولار بزيادة قدرها 5.7 في المئة على أساس سنوي.

وبشكل أشمل، أي باحتساب الضرائب المباشرة، والتي تقدر بنحو 1.61 مليار دولار، فإن نسبة الرسوم الجمركية من إجمالي هذه الضرائب لا يتعدى 4.9 في المئة.

وتشير بيانات وزارة المالية إلى أن الجزء الأهم من الضرائب غير المباشرة، في الربع الأول، يتأتى من ضريبة القيمة المضافة بما يعادل 902 ملايين دولار.

في المقابل تمثل الضرائب والرسوم المختلفة المورد الثاني للضرائب غير المباشرة، إذ وصلت قيمتها مع نهاية مارس إلى 702 ملايين دولار.

> **181.2**
> مليون دولار عوائد جمركية خلال الربع الأول من 2025 بنمو 22 في المئة بمقارنة سنوية

وسجلت الميزانية خلال الربع الأول فائضا ماليا بقيمة 661.25 مليون دولار، وهو ما يمثل زيادة بنسبة 74 في المئة بمقارنة سنوية، وفق وزارة المالية.

ويفسّر هذا التحسّن بنمو موارد الميزانية بنسبة 3.9 في المئة لتبلغ نحو 4.13 مليار دولار تبعا لنمو الإيرادات الجبائية بنسبة 7.7 في المئة لتصل إلى نحو 3.7 مليار دولار، والإيرادات غير الضريبية بنسبة اثنين في المئة لتبلغ 400 ألف دولار تقريبا.

وتتطلع الحكومة إلى تحصيل 9.7 مليار دولار خلال العام الحالي من الجباية لوقف دوامة العجز العام. ومن هذا المجموع ينبغي أن تجني قرابة 22 مليار دينار (7.1 مليار دولار) من الشركات، ولاسيما الصغيرة والمتوسطة.

تدقيق شامل لكل شاردة وواردة

أكبر بنك سعودي يعتزم جمع ديون إضافية لتحسين ملاءته المالية

الرياض - يعتزم البنك الأهلي السعودي، وهو أكبر مؤسسة مصرفية في البلد الخليجي، إصدار أدوات دين رأس المال من الشريحة الثانية مقومة بالدولار، لم يحدد قيمتها، بموجب برنامجه لأدوات الدين متوسطة الأجل باليورو.

وقال البنك في إفصاح للبورصة المحلية (تداول) الخميس إن قيمة الإصدار وشروط طرح أدوات الدين سيتم تحديدها لاحقا "بناء على ظروف السوق."

وأشار إلى أن الإصدار سيكون عن طريق شركة ذات غرض خاص، وسيتم الطرح على مستثمرين مؤهلين داخل البلاد وخارجها.

وأوضح البنك أن الهدف من الطرح هو تحسين رأس المال من الشريحة الثانية لأغراض البنك التجارية العامة وتلبية أهدافه المالية والإستراتيجية.

وتم تعيين عدة جهات كمديري الاكتتاب ومديري سجل الاكتتاب للطرح المحتمل هي بنك أبوظبي التجاري وبنك دي.بي.أس – أل.تي.دي وبنك الإمارات دبي الوطني وبنك غولدمان ساكس إنترناشيونال.

وتتضمن الجهات أيضا بنكي أتش.أس.بي.سي وجي.بي مورغان سيكيوريتيز وبنك المشرق وميزوهو الدولية والأهلي المالية، وبنك أس.أم. بي.سي الدولي وستاندرد تشارترد.

ويقف القطاع المصرفي في السعودية أمام معادلة معقدة تتعلق بكيفية تحقيق التوازن بين دعم النمو من خلال التوسع في الإقراض، والحفاظ على مستويات صحية من الأصول الأجنبية تُمكّن البنوك من الوفاء بالتزاماتها ومواجهة أيّ تقلبات مالية مفاجئة.

ومنذ مطلع 2025 تحركت البنوك بوتيرة غير مسبوقة نحو أسواق الدين، مدفوعة باحتياجات تشغيلية وتمويلية لمواكبة مشاريع رؤية 2030، لكن كان لذلك تأثير ملحوظ على صافي الأصول الأجنبية لدى القطاع المصرفي خلال الشهرين الأخيرين.

> الإصدار موجه للسوقين المحلية والدولية وسيكون عن طريق شركة ذات غرض خاص

وشهدت أغلب الإصدارات توجها لافتا نحو الأسواق الدولية، حيث طرحت عدة بنوك سعودية صكوكا وسندات مقومة بالدولار، تم تسويقها لمستثمرين في الأسواق الدولية.

وتوزعت الإصدارات بين بنوك كبيرة أتمّت عمليات جمع سيولة من أسواق المال العالمية خلال الأشهر الماضية. وبحسب بلومبيرغ أصدرت 8 بنوك صكوكا إسلامية وسندات مقومة بالريال والدولار تجاوزت قيمتها الإجمالية 6.4 مليار دولار.

وأظهرت بيانات نُشرت على منصة بورصة السعودية تداول أن الإصدارات لم تقتصر على تغطية النفقات التشغيلية، بل شملت أيضا تعزيز قاعدة رأس المال والامتثال لمتطلبات بازل 3، وتضمّن بعضها عناصر مرتبطة بالتمويل الأخضر مثل البنك السعودي الأول.

ولكن ما يحدث في سوق الديون يتقاطع مع صورة أوسع، فوفق بيانات البنك المركزي لشهر مارس، سجل صافي الأصول الأجنبية للبنوك عجزا بلغ 27.75 مليار دولار، وهو رقم يُعدّ من بين الأعلى تاريخيا، قبل أن يتراجع إلى نحو 24 مليار دولار مع نهاية أبريل.

ولم يكن شهر أبريل نهاية القصة، ففي الأسابيع التالية، وتحديدا خلال مايو، طرحت 4 بنوك أدوات دين جديدة تجاوزت قيمتها 2.45 مليار دولار.

وحقق البنك الأهلي نموا متواضعا في أرباحه بالربع الأول من 2025، إذ نما صافي الربح بنسبة 0.35 في المئة بمقارنة سنوية إلى 1.34 مليار دولار، حيث تضرر من ارتفاع مصروفات التشغيل، وصافي خسائر الائتمان المتوقعة والخسائر الأخرى.

وفق البيانات المالية المعلنة على تداول، فإن البنك الأكبر بالبلد الخليجي من حيث الأصول سجل زيادة في مصاريف العمليات متضمنة صافي مخصص خسائر الائتمان المتوقعة.

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

مصر تستعين بأراضي الدولة لخفض مستوى الدين العام

الحكومة تعيد إنتاج صفقة رأس الحكمة وتطرح صكوكا لجذب استثمارات

أصول مهمة للتنمية

تواصل السلطات المصرية عزمها على إيجاد حلول مبتكرة ومستدامة من أجل مواجهة تحديات الديون، وتدرس وزارة المالية حاليا استخدام قطعة أرض في منطقة رأس شقير على البحر الأحمر، كأصل لتسديد الدين الناشئ عن إصدار صكوك جديدة.

القاهرة - قررت الحكومة المصرية الاستعانة بأراض مملوكة للدولة كضمانة لإصدار صكوك سيادية، وهي جزء من خطة أوسع تهدف إلى تقليل أعباء الدين العام، وتعزيز الاستثمارات الأجنبية في البلاد.

وتكمن أهمية الخطوة في أنها تعكس حسن الاستفادة من الأصول العامة،وتنويع أدوات التمويل التي تعتمد عليها الدولة، ما يترتب عليه تخفيف أعباء خدمة الدين العام، وتشكل أحد أكبر التحديات التي تواجه الاقتصاد في الوقت الحالي.

مدحت نافع

الخطوة إيجابية بغية الاستفادة من الأصول دون بيعها

ياسر عمارة

الإجراء ضروري لضمان الشفافية في عملية الإصدار

وتم تخصيص أرض رأس شقير، والبالغة مساحتها 174 مليون متر مربع، لصالح وزارة المالية بموجب القرار الجمهوري رقم 299 لسنة 2025.

ومن المقرر أن تستخدم الأرض كأصل أساسي ضمن برنامج التصكيك الجاري الإعداد له، وهي من الأصول العامة التي يمكن استخدامها كضمان مالي لتخفيض الدين العام بإصدار الصكوك، ويتم تحويل الإيرادات المتوقعة من استغلال هذه الأرض إلى أداة تمويل يتم توريقها.

وتتمثل أهمية الخطوة في أنها تأتي في إطار خطة مصر لتحسين إدارة أصول الدولة واستخدامها بشكل أكثر كفاءة لدعم الاقتصاد، وتخفيف أعباء الديون التي تتزايد بشكل مستمر.

وتستهدف المبادرة تحسين صورة الاقتصاد المصري في أعين المستثمرين المحليين والأجانب، وتوفير مصدر تمويل مستدام للقطاع العام.

ويعد القرار الخاص باستخدام الأراضي كضمانة لإصدار الصكوك السيادية جزءًا من خطة أكبر ترمي إلى تعزيز قدرة مصر على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

وتأمل القاهرة في إعادة إنتاج قصة نجاح صفقة رأس الحكمة التي شكلت سابقة في مجال جذب الاستثمارات الأجنبية ودعم الاقتصاد، وتمت بالتعاون مع دولة الإمارات.

ورغم التحديات التي يواجهها البلد، إلا أن صفقات مثل رأس الحكمة ورأس شقير تؤكد وجود فرص كبيرة في قطاعات مختلفة، إذا تم استغلال الأصول بشكل إستراتيجي ومدروس.

ومع إصدار الصكوك، تفتح القاهرة الباب أمام القطاع الخاص والمستثمرين المحليين والدوليين للمشاركة في مشاريع الإنتاج والتنمية التي قد تستفيد من هذه الأراضي.

ويشير محللون إلى أن هذه الصكوك ستساعد في توفير الأموال اللازمة للمشاريع الوطنية، وتعزز الاقتصاد بشكل عام، بما في ذلك تحسين فرص العمل وتحفيز النمو في قطاع الإنشاءات والبنية التحتية.

والخطوة جزء من سياسة الحكومة الرامية إلى تخفيف الاعتماد على أدوات الدين التقليدية التي تحمل تكاليف مرتفعة، وتسعى إلى تنشيط أدوات التمويل الإسلامي، والتي تزايد إقبال المؤسسات المالية عليها في الآونة الأخيرة.

ويلعب توافق الصكوك مع الشريعة الإسلامية دورًا حاسمًا في جذب مجموعة واسعة من المستثمرين، بما في ذلك مؤسسات مالية إقليمية ودولية تفضل هذه الأدوات من حيث الشفافية والتوافق مع المبادئ الدينية.

ومن خلال استخدام الأراضي كضمان لهذه الصكوك، تسعى القاهرة لجذب المزيد من الاستثمارات المحلية والخارجية التي تبحث عن فرص آمنة ومربحة أيضا.

ويعكس هذا التوجه رغبة الحكومة في تنويع مصادر التمويل بعيدًا عن أدوات الدين التقليدية، للحد من تأثير الأعباء المالية المرتبطة بالاقتراض التقليدي.

وقال الخبير الاقتصادي المصري مدحت نافع لـ"العرب" إن القرار الذي تم اتخاذه يحمل دلالات إيجابية، ولا يجب النظر إليه عبر عدسة التشكيك التي ظهرت مؤخرًا.

وأوضح أن وزارة المالية تمتلك السلطة لإدارة الأصول التي تعود ملكيتها إلى الدولة بشكل خاص، مثل الأسهم التي تمتلكها في شركات قطاع الأعمال العام، وأن المنتج المالي الذي ورد في القرار يمثل خطوة إيجابية نحو الاستفادة من الأصول دون التفريط فيها أو بيعها أو إهلاكها.

> 4 مليارات دولار قيمة البرنامج التمويلي الذي تستهدفه الحكومة بطرح صكوك سيادية

ومعروف أن الصكوك بأنواعها، تعمل على توريق إيرادات استغلال الأصول واستثمارها، دون أن تمنح المكتتبين فيها حق ملكية الأصل، تماماً كما هو الحال مع سندات الإيراد.

وإلى جانب استخدام الأراضي في إصدار الصكوك السيادية المحلية، تنوي وزارة المالية إصدار صكوك سيادية في الأسواق الدولية بقيمة مليار دولار خلال أسبوعين.

ويشكل الإصدار جزءا من برنامج تمويلي معتمد بقيمة 4 مليارات دولار، وتم تنفيذ شريحة أولى منه بقيمة ملياري دولار عبر إصدار سندات يوروبوند في يناير الماضي.

وهذا الإصدار جزء من إستراتيجية الوزارة لتعزيز الاحتياطي النقدي وتوفير السيولة الأجنبية التي تحتاجها الدولة لتلبية احتياجات الموازنة العامة.

ومن المنتظر تنفيذ طرح آخر قبل نهاية العام المالي الجاري، ويستهدف توفير الأموال اللازمة لتمويل العجز في الموازنة العامة، والتخفيف من الضغط على سوق الصرف.

وأكد الخبير الاقتصادي المصري ياسر عمارة أن أيّ دولة ترغب في إصدار صكوك إسلامية يجب أن تقوم بتخصيص أرض أو أصول عقارية لصالح وزارة المالية، بحيث تستخدم هذه الأصول كضمان مخصص لتسديد الديون المرتبطة بتلك الصكوك.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب" أن هذه الخطوة تعد ضرورية لضمان الجدية والشفافية في عملية إصدار الصكوك.

ولفت إلى أن الصكوك الإسلامية تختلف بشكل كبير عن السندات التقليدية، وتتطلب أن تكون مدعومة بأصل حقيقي مثل العقارات أو الأراضي، وفقًا لأحكام الشريعة التي تحرص على أن تكون العمليات المالية متوافقة مع المبادئ الإسلامية.

وأوضح أن وجود هذه الضمانات يساهم بشكل كبير في تقليل الفوائد التي تتحملها الدولة عند الاقتراض عبر الصكوك، ما يجعلها وسيلة أكثر كفاءة وموثوقية للمستثمرين، خاصة في ظل التقلبات الاقتصادية.

وتحتاج الحكومة إلى تعزيز الترويج لهذه الأدوات المالية الجديدة، وتوفير ضمانات قوية للمستثمرين المحليين والدوليين لزيادة الثقة بالنظام المالي، كما أن الصكوك سوف تساهم في تحقيق الاستقرار المالي من خلال توفير التمويل اللازم لتنفيذ مشاريع التنمية الكبرى.

وتسعى وزارة المالية إلى تطوير أداة الدين العام بما يتماشى مع أفضل الممارسات العالمية، وهذا يشمل توظيف أصول الدولة غير المستغلة في توفير تمويل مستدام يساعد في تسديد الديون العامة.

وباستخدام الأراضي والموارد الأخرى كضمانات، تتمكن الدولة من تقليل تكاليف الاقتراض، حيث يتيح هذا النوع من التمويل للدولة الاستفادة من الأصول العامة دون الحاجة إلى بيعها أو التفريط في ملكيتها.

وتعتمد الحكومة في هذه الإستراتيجية على مبدأ مهم، وهو الحفاظ على ملكية الأصول العامة بينما تسعى لتوليد العوائد المالية اللازمة لدعم النمو الاقتصادي.

كما توفر عبر إصدار الصكوك المدعومة بالأراضي، فرصة جيدة للمستثمرين للحصول على عوائد ثابتة، والحفاظ على أصول الدولة في ملكيتها.

تخفيف العقوبات يفتح أبواب تداول الأصول الافتراضية في سوريا

دمشق - أصبح بإمكان المواطنين السوريين والمغتربين الآن الوصول إلى خدمات شركة بينانس، وهي أكبر منصة في العالم لتداول العملات المشفرة، بعد أن أزالت البلد من قائمة الدول المحظورة.

ولأول مرة منذ ست سنوات، يمكن للسوريين استخدام تداول العقود الفورية والآجلة والمراهنة وخدمة الدفع عبر الحدود من بينانس، ومواد تعليمية عن العملات المشفرة باللغة العربية.

وقالت بينانس الخميس إنها "ستسمح للمستخدمين في سوريا بالتداول في هذه العملات، ومنها بتكوين، وذلك بعد قرار الولايات المتحدة رفع العقوبات المفروضة على سوريا الشهر الماضي." وأضافت في بيان "الحرية المالية يجب أن تكون للجميع."

وأوضحت أن "السوريين سيكون لهم كامل الحق في الوصول إلى منتجاتها وخدماتها التي تشمل أكثر من 300 نوع من الرموز المشفرة والعملات المستقرة المربوطة بالدولار أو بعملات أخرى." وذكرت أن الليرة يمكن الآن استخدامها للشراء والبيع على المنصة.

وأفادت بينانس، ومقرها جزر كايمان، بأن الملايين من السوريين مهتمون بالعملات الرقمية بشكل كبير نظرًا إلى عدم الاستقرار الاقتصادي وارتفاع معدلات التضخم.

وأعلنت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب الشهر الماضي بشكل مفاجئ عن رفع العقوبات المفروضة على سوريا التي تولت فيها حكومة يقودها إسلاميون السلطة بعد الإطاحة بنظام بشار الأسد في ديسمبر الماضي.

وتشير تقارير إلى أن شركات أميركية، بما في ذلك أي.تي اند تي للاتصالات وشيفرون للطاقة ومجموعات الأعمال الزراعية، تتطلع إلى دخول السوق السورية كجزء من اتفاقيات إعادة الإعمار بعد الصراع.

ويأمل قادة سوريا الجدد في تحقيق تقدم سريع في الخدمات العامة بما يشمل خدمات إتاحة الإنترنت بعد حرب أهلية دامت أكثر من 13 عاما وبعد عقوبات غربية مفروضة منذ عقود.

وتعتمد البلاد، التي يبلغ عدد سكانها حوالي 24 مليون نسمة، ويُقدر عدد المقيمين في الخارج بما يتراوح بين 8 و15 مليون نسمة، على التحويلات المالية وشبكات الأموال غير الرسمية لمواجهة الانخفاضات المتكررة في قيمة العملة.

وأوضحت بينانس "من المرجح أن هذه التحديات ساهمت في الاهتمام الكبير المستمر بالعملات الرقمية في سوريا. وقد صُنفت البلاد من بين أفضل 10 دول عالميًا في نشاط البحث المتعلق بالعملات الرقمية حتى عام 2021."

ووفقًا لوكالة رويترز، أوقفت بينانس خدماتها في سوريا وإيران في شهر أغسطس 2019 بعد إدراجهما في القائمة السوداء كدولتين خاضعتين لعقوبات غربية صارمة.

وفي مقابلة صحفية أجريت معه عام 2021 متحدثًا عن إغلاق منصة بينانس قال الأستاذ السوري في الاقتصاد كرم شعار إن "منع جميع السوريين من النظام المالي أرخص من تدقيق المعاملات الفردية. هذا هو المعنى الحقيقي للعقاب الجماعي الأناني."

وعند استئناف خدماتها الخميس، وعدت المنصة التي أسسها المبرمج الصيني – الكندي تشانغبينج تشاو في عام 2018، "بتقديم حلول حقيقية تدعم الانتعاش الاقتصادي في سوريا."

> القيود على التحويلات وانتشار الشبكات غير الرسمية لمواجهة انهيار قيمة الليرة يساهم في التحول إلى الأصول المشفرة

> الملايين من السوريين مهتمون بالعملات الرقمية بشكل كبير نظرًا إلى عدم الاستقرار الاقتصادي

وتدرس الحكومة السورية استخدام عملة البيتكوين كطوق نجاة لاقتصادها من خلال خطة وضعها المركز السوري للبحوث الاقتصادية لتبني العملات المشفرة في إعادة بناء البلاد بعد انهيار نظام الأسد.

وأدت عقود من الحرب وسوء الإدارة الاقتصادية إلى تدمير البلد. ووفقًا للبنك الدولي، انكمش الاقتصاد السوري بأكثر من 60 في المئة منذ عام 2010. كما انخفضت قيمة الليرة بشكل حاد، مع تآكل ثقة الناس بالخدمات المصرفية التقليدية بسبب التضخم.

ولمواجهة هذه التحديات، اقترح المركز السوري للبحوث الاقتصادية نهجًا متعدد الجوانب، بما في ذلك تقنين البيتكوين للتداول والتعدين والمعاملات المالية.

كما اقترح رقمنة الليرة السورية باستخدام تقنية البلوك تشين، واستقرارها بدعمها بأصول مثل الذهب والدولار الأميركي والبيتكوين. علاوة على ذلك، يوصي باستغلال موارد الطاقة غير المستغلة لتعدين البيتكوين مع ضمان الاستدامة البيئية وتجنب الاحتكارات.

واكتسبت العملات المشفرة زخمًا في سوريا بالفعل، وإن كان بطرق مثيرة للجدل. ويمكن أن يوفر تقنين البيتكوين مزايا عديدة لسوريا.

وبحسب الخبراء سيفتح ذلك الباب أمام الاستثمارات والشراكات الدولية، كما هو الحال في السلفادور، ما يوفر دفعة اقتصادية هي في أمسّ الحاجة إليها.

التحول الأخضر يدفع البنك الدولي إلى استئناف تمويل الطاقة النووية

واشنطن - أعلن رئيس البنك الدولي أجاي بانغا لموظفي المؤسسة الأربعاء في رسالة اطلعت عليها وكالة فرانس برس أنّ المؤسسة ستستأنف دعم مشاريع توليد الطاقة النووية "للمرة الأولى منذ عقود".

وأوضح بانغا في رسالته الإلكترونية أن الدعم سيتضمن "الجهود الرامية إلى توسيع نطاق المفاعلات النووية الحالية في الدول التي تمتلكها، وتحسين الشبكات والبنى التحتية."

وأضاف "سنعمل أيضا على تسريع إمكانات المفاعلات النووية المعيارية الصغيرة التي ستوفر خيارا عمليا للمزيد من الدول على المدى الطويل." ولم يحدد رئيس البنك المبالغ التي يمكن تخصيصها لهذه المشاريع.

ولتحقيق هذه الغاية سيدخل البنك الدولي في "شراكة" مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية "لتعزيز قدرتنا على تقديم المشورة بشأن ضمانات عدم الانتشار والسلامة والإطار التنظيمي،" كما أوضح بانغا.

وفي نهاية أبريل رحّب المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية رافايل غروسي في منشور على منصة إكس بإجراء "حوار بنّاء مع البنك الدولي" حول هذا الموضوع.

ومع ذلك أكد غروسي أن "التمويل ضروري" وأن منظمته "مستعدة لدعم" البنك الدولي في حال حدوث تغيير في نهجه بشأن هذا الموضوع.

وحدّدت المؤسسة المالية التي تتخذ مقرا في واشنطن هدفا يتمثل في ربط أكثر من 300 مليون شخص بشبكات الكهرباء في العقد المقبل، وترى في ذلك ضرورة في حربها ضد الفقر، وهي مهمتها الأساسية.

لكن كما أشار بانغا، فإنّ "الطلب على الكهرباء سيزيد بأكثر من الضعف في البلدان النامية بحلول عام 2035،" الأمر الذي يتطلب رفع التمويل لشبكات الطاقة من 280 مليار دولار سنويا حاليا إلى 630 مليار دولار سنويا خلال عقد.

وبعد تراجعه إثر كارثة فوكوشيما في اليابان عام 2011، تجدد الاهتمام بالطاقة النووية على مستوى العالم، وخاصة بسبب الاحتياجات الهائلة للطاقة في التكنولوجيا الرقمية، مع تطور الذكاء الاصطناعي.

أجاي بانغا

سنعمل على تسريع إمكانات المفاعلات المعيارية الصغيرة

وفي الولايات المتحدة تدرس شركات تكنولوجيا رقمية عملاقة عديدة التزود بمفاعلات نووية معيارية صغيرة لتشغيل مراكز بياناتها التي يتزايد استهلاكها بشكل كبير مع استخدام الذكاء الاصطناعي.

وعلى نطاق أوسع أعلنت عدة بلدان، أبرزها فرنسا والمملكة المتحدة وإندونيسيا، في الأشهر الأخيرة عن بناء مفاعلات نووية جديدة، وهي تراها بمثابة حل منخفض الكربون لتلبية احتياجاتها المتزايدة من الكهرباء.

وخلفت الحروب في أوكرانيا والشرق الأوسط اضطرابات، ما دفع الاتحاد الأوروبي إلى توسيع تصنيفه لمصادر الطاقة المؤهلة.

ومنذ عام 2022 تم إدراج الغاز والطاقة النووية في قائمة الاستثمارات التي تدعمها الهيئات الحكومية والمؤسسات المصرفية التابعة لها.

ويبلغ استهلاك الطاقة العالمي نحو 190 ألف تيراواط في الساعة، ويعتمد هذا الاستهلاك في المقام الأول على النفط والفحم والغاز، مع عدم وجود أرقام دقيقة عن احتراق الأخشاب.

ويمثل استهلاك الكهرباء العالمي أقل قليلا من 17 في المئة من إجمالي احتياجات الطاقة، أي نحو 30 ألف تيراواط في الساعة.

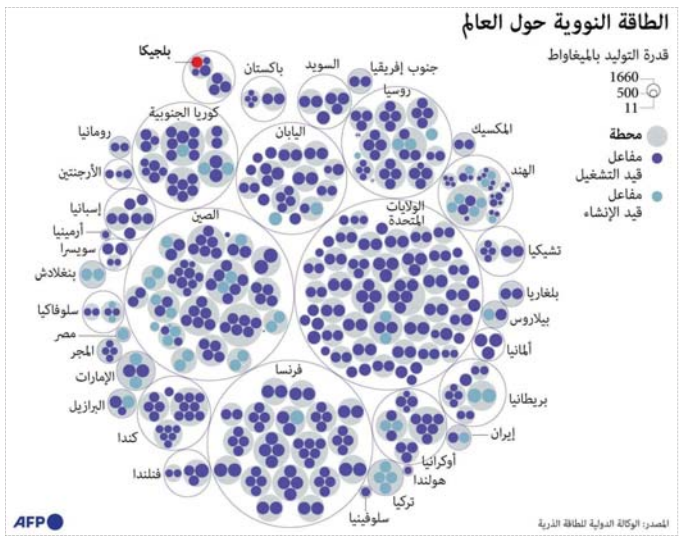

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

الذكاء الاصطناعي.. بين الانبهار اللحظي والتطور الحضاري

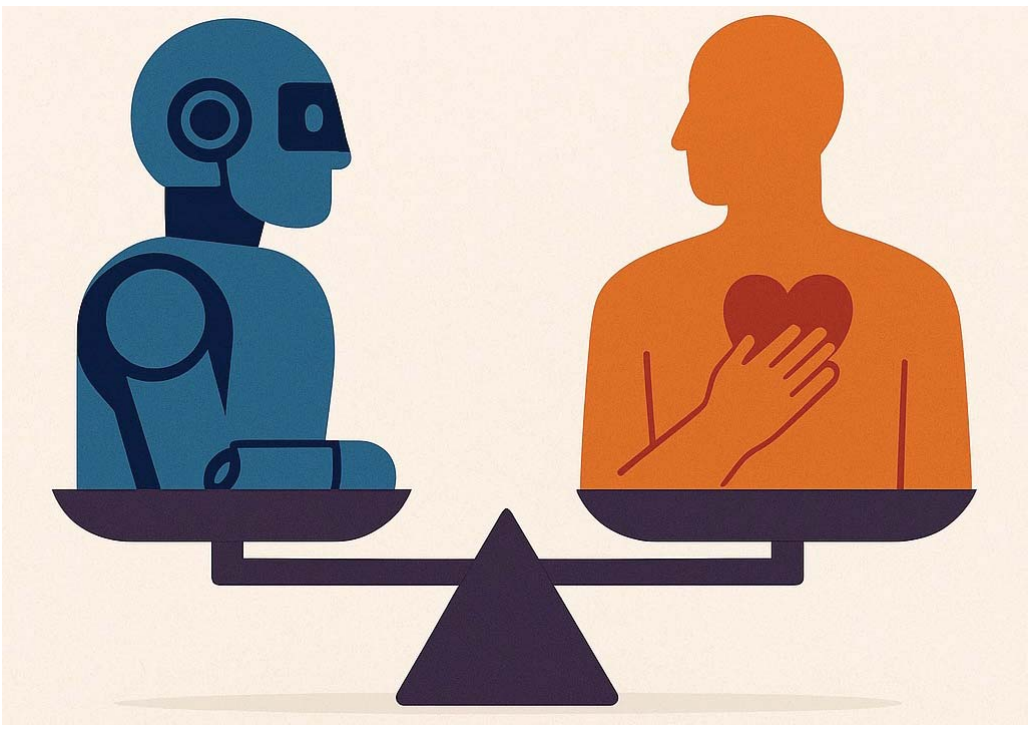

ربى عياش
إعلامية فلسطينية

الانبهار المفاجئ بالذكاء الاصطناعي دون وعي حقيقي بدوره، ودون إدراك لأماكن توظيفه، أو فهم لكونه لا يتعدى كونه أداة متطورة لمساعدة الإنسان، قد يضعه في سياق خاطئ. بل قد ينعكس هذا الانبهار سلبًا على العديد من القطاعات الإنسانية، إن تم التعامل معه كبديل كامل عن البشر.

الركض نحو "الخاتمة القصيرة" التي تفترض أن وجود الذكاء الاصطناعي يعني بالضرورة تقليص الموارد البشرية، قد يكون قفزًا غير محسوب النتائج. فهذه ليست السياسة المثلى لتطوير الأعمال، ولا المجتمعات.

إذا أردنا الحديث بشكل أكثر تحديدًا عن دور الذكاء الاصطناعي في الصحافة والإعلام، فإن الأمر لا يخلو من الفرص، لكنه أيضًا لا يخلو من التحديات.

صحيح أن هناك أدوات قادرة على تسريع الترجمة بين اللغات، أو تلخيص النصوص، أو تفريغ محتوى الفيديوهات وتحليلها، لكن حتى اللحظة، كل هذه الأدوات بحاجة إلى كوادر بشرية، وتدريب بشري جيد، وتدقيق واع من محترفين، فاحتمالية الخطأ فيها واردة وما زالت مرتفعة.

في الوقت نفسه، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون ذراعًا قوية للعمل الصحفي، إذا استُخدم بحكمة. يمكنه، مثلًا، تسريع عملية أرشفة الوثائق والمقابلات، وتحليل كميات ضخمة من البيانات المتاحة للعامة، لكنه لا يصنع القصة. فهذه الأدوات تفتقر إلى أهم ميزة وهي "الوحي الفكري، الإنساني، الإبداعي والروحي"، كما أنها تفتقر إلى الحدس والبصيرة والموقف.

حتى أن دور هذه الأدوات قد يكون أحيانًا مساعدة في دعم مراوغة الإنسان، وللوهلة الأولى قد نعجز عن التفريق بين إمكانيات الأشخاص ومعرفة حقيقة إبداعهم. لكن، مع تكرار أنماط وأسلوب هذه الأدوات، يصبح من الممكن الكشف عمّا إذا كانت القصص والنتائج من صنع بشري أم آلي بحت.

ومن هنا، نجد تصاعد المخاوف بين الصحفيين من خسارة أدوارهم ووظائفهم واستبدال الذكاء الاصطناعي بهم لاحقًا، إضافة إلى المخاوف من أن شكل المهنة قد يتغير خلال سنوات قليلة، نظرًا للتداخل الحاصل في دور وأساسيات وهُوية الصحفي وصانع المحتوى.

وهناك بالفعل محاولات لتقزيم دور الصحافة التقليدية في مقابل صعود "المؤثرين" في عالم الإنتاج الإبداعي، لكن، من وجهة نظري، الصحافة التقليدية لم تندثر، بل على العكس، ما زال أمامها فرصة لتزدهر من جديد. لكنها تحتاج إلى بصيرة حقيقية وواعية لدعم استخدام الأدوات المتطورة، وخاصة "الذكاء الاصطناعي"، في الاتجاه الصحيح.

اليوم، ما يميز الصحفي في إنتاجه المقروء، المسموع أو المرئي، هو القدرة على التحليل ومحاولة تفكيك الواقع من كافة الزوايا وبطبقات أعمق، وأن يمتلك بصيرة خاصة وصوتًا فريدًا، علاوة على القدرة على ربط الأحداث بسياقات أكبر وأوسع، خاصة في ظل تعاظم الأزمات والحروب والمعارك على جبهات عدة. هذه أدوار لا يمكن أن يقوم بها إلا صحفي واعٍ، مثقف، واسع الاطلاع، صاحب موقفٍ وبصيرة. هنا يظهر الإبداع الحقيقي، وهنا تتجلى أهمية الفكر والحرية والتنوع، وهنا يستعيد الإنسان صوته.

وهذا في النهاية ما يمنح المتلقي فهمًا أعمق للقصة، وزوايا أوسع لفهم ما يجري من أحداث سريعة ومتتالية، في العالم بشكل عام، والشرق الأوسط بشكل خاص. لذا، اليوم، دور الصحفي مهم جدًا من أجل محاولة استعادة مساحة الحريات المسلوبة، وإعادة تطبيع فكرة احترام التعددية والاختلاف، وتطبيع حريات الرأي، والفكر، والتعبير في المجتمعات من جديد.

خاصة في عالم باتت الحقوق مسلوبة، والحريات مكبلة، سواء من السلطات أو من الأفراد أنفسهم في مسرح "وسائل التواصل الاجتماعي"، التي باتت أشبه بغرف تعذيب، حيث يُجلد المرء على رأيه بالتنمر والشتائم والهجوم اللاذع. وذلك وسط انحسار مساحات الحوار، وغياب طاولة النقاش والجدال البناء، وغياب ممارسة الحريات في بعض المجتمعات لفترة طويلة.

ولهذا تحديدًا، نعود ونؤكد أن دور الصحفي مهم جدًا. ليس في نقل الخبر فقط، بل بكونه صوت الواقع، حيث يتجلى دوره في مواجهة التسطيح المستمر للأحداث، ومحاولة مواجهة أدلجة الحقيقة.

الإعلام الحقيقي هو من يساعد المجتمعات على الخروج من كهف أفلاطون، ومن يفتح النوافذ لاكتشاف النور. فالإعلام لا يُفترض أن يكون مجرد صدى لظلال نار تُعرض على جدران مظلمة، بل يجب أن يكون كاشفًا للواقع، مثيرًا للأسئلة، دافعًا للتفكير، ومساهمًا في صحوة المجتمعات.

وهذا كله يكمن في عقل وإبداع الأفراد، ولن يتم تحقيقه عبر أدوات الذكاء الاصطناعي، لأن هناك فرقًا واضحًا بين صناعة الجدل وصناعة الوعي.

فصانع المحتوى لن يكون يومًا قادرًا على الجلوس على كرسي الصحفي، ولا يجدر به ذلك. لكل منهما دور مختلف، وأدوات مختلفة، ولغة مختلفة في المجتمع. الحد الفاصل بينهما أشبه بخيط رفيع، لكن مع تشابك الخطوط، يجب أن يبقى المجتمع واعيًا بذلك.

نعود مرة أخرى إلى الذكاء الاصطناعي. هذه الأدوات تتطور، لكنها بحاجة إلى عقل بشري يُدققها، يراجعها، ويضخ فيها البصمة الإنسانية. تطورها يجب أن يكون في صف الإنسان، لا ضده؛ أن تساعده على أداء عمله بشكل أسرع وأدق، لا أن تسرق مكانه.

ولن تنجح في ذلك أصلًا، لأنها لا تملك ما يملكه الإنسان: الروح، الرؤية، الإبداع، والقدرة على التعبير عن المعاناة.

الصحافة ستبقى، رغم التحديات الكبيرة التي تواجهها بسبب وسائل التواصل الاجتماعي وعدم القدرة على ضبط الساحة الرقمية وتطور الأدوات، لكنها لن تندثر.

قد تتحول الصحف من ورقية إلى نسخ إلكترونية، لكنها لن تموت. ستبقى مساحةً للإبداع، للتعددية، لصناعة القرار، ولمحاولة بناء مجتمع أكثر وعيًا وعدالة. أن تتحول أوراقها إلى غرف عصف ذهني علنية في محاولة لمساعدة المجتمع وصنّاع القرار والسياسات على خلق واقع أفضل يومًا ما، على الأقل.

قد تتغير الإذاعة إلى بودكاست، والتلفاز إلى مساحات تفاعلية رقمية، لكن لن تتوقف الحاجة إلى المحتوى المكتوب، المرئي، والصوتي أو التحليلي. الجمهور، برغم كل هذا التشويش، ما زال يتوق للمعرفة الحقيقية، يتوق إلى وجبة فكرية دسمة في زمن "الوجبات السريعة".

نرى مقاطع بودكاست تمتد لساعات، تتناول موضوعات فلسفية وتاريخية معقدة، وتحصد ملايين المشاهدات والتفاعلات. هذا دليل على أن الجمهور لم يفقد قدرته على التأمل، بل فقط فُرضت عليه حالة من التسطيح لفترات طويلة.

قد تتطور الأدوات، لكنها لا تستطيع استبدال الإنسان. هؤلاء البشر الذين يعيشون القهر، ويقفون عند هامش الحياة، هم وحدهم القادرون على رواية قصصهم، وكتابة واقعهم. وحدهم يملكون الحق في الحديث عن معاناتهم.

قد يكون الذكاء الاصطناعي، بإبداعه في إنتاج صوره الخاصة ولوحاته ورسوماته وفيديوهاته، قد أضحى "ترند"، لكنه لا يستطيع أن يحاكي ألمًا حقيقيًا أو شعورًا إنسانيًا نابعًا من تجربة معاشة.

لا توجد صورة رقمية منتجة بواسطة الذكاء الاصطناعي قادرة على التأثير كما تؤثر الصورة الحقيقية، مشاهد كلفت الصحفيين ثمنًا باهظًا من حياتهم، صحتهم، وأمنهم.

هذا النص ليس ضد التكنولوجيا، بل دعوة للتوازن، ولإبقاء الإنسان في قلب التطور. والجهود الكبيرة التي تبذلها الدول في تطوير الذكاء الاصطناعي أمر مقدر، والاستثمار في هذه التكنولوجيا يجب أن يصاحبه دائمًا وعي بأهمية الإنسان ودوره. لأن الأصل هو الإنسان، وتجاربه، وبصيرته، وإبداعه. وإخراج الإنسان من هذا السياق، سيُحدث إخلالًا في المنظومة.

لن نكون ضد التطور، بل نحن معه، لأن المجتمعات تحتاج إلى هذه الأدوات. نحتاجها في التعليم، الصحة، الإعلام، الخدمات المقدمة، وفي كافة مناحي الحياة اليومية. لأنه في عام 2025، كان من المفترض أن يحصل الإنسان في كثير من دول العالم على نوعية حياة أفضل، لا أن يتم زجه وغرقه في صراعات وحروب ومآس تأكل روحه يوميًا.

لذا، على المنظومة أن تتذكر: التاريخ لا يسير في خط مستقيم. بل نحن نعيش في دوائر، وما نسميه "تقدمًا"، قد يكون فقط وهمًا مريحًا إذا لم يتم توظيفه بالطريقة الصحيحة.

أو قد يصبح مجرد انبهار عالمي انفعالي لحظي، لأن الحضارات السابقة لم تكن متخلفة ولا متأخرة، إنما سبقتنا في البناء، في النحت، في الهندسة، في المعرفة، العلم، في دفن أسرارها، في الفن والإبداع... وربما في المعنى.

لذلك، تمامًا كما امتلكت تلك الحضارات من التكنولوجيا ما ساعدها في بناء حضارات عظمى، ثم انتهت وفنت، علينا أن نتعلم من أخطاء الماضي بعدم التخلي عن الإنسانية والإنسان، وعدم التخلي عن معنى الوجود.

لذا، المهم الآن، ألا نفقد قدرتنا على الحلم، والتفكير، والتأمل.

> قد تتطور الأدوات لكنها لا تستطيع استبدال الإنسان.. البشر الذين يعيشون القهر وحدهم القادرون على رواية قصصهم

ليس ضد التكنولوجيا بل دعوة لإبقاء الإنسان في قلب التطور

زوكربيرغ يقود جيشا من الخبراء للولوج إلى المجهول

استكشاف الآفاق والحدود في عصر الذكاء الاصطناعي العام

في ظل التطورات التقنية المتسارعة التي يشهدها الذكاء الاصطناعي، يتجه قادة التكنولوجيا لاستثمار ضخم في آفاق الذكاء الاصطناعي العام الذي يهدف إلى محاكاة القدرات البشرية الشاملة وتجاوزها. ويقود مارك زوكربيرغ هذا التوجه بمشروع تطوير فريق متخصص، مثيرا تساؤلات حول أثر هذه الثورة على الإنسان والمجتمع.

لندن - تشير تقارير حديثة إلى استمرار نشاط شركة ميتا بقيادة مارك زوكربيرغ في دفع عجلة تطوير الذكاء الاصطناعي، إذ يُستمر في تجنيد خبراء ذكاء اصطناعي من الطراز الأول وتعديل هيكلية مكاتب الشركة لتكون مركزية للفريق الجديد المؤلف من 50 خبيرا، لبناء ما يسمى بـ"الذكاء العام الاصطناعي"، أي الآلات التي يمكنها محاكاة القدرات البشرية أو حتى تجاوزها.

وذكرت وكالة بلومبيرغ أن زوكربيرغ اتخذ هذه الخطوة تزامناً مع استثمار معلن عنه بأكثر من 10 مليارات دولار في شركة سكيل إيه آي، وأنه من المتوقع انضمام ألكسندر وانج، مؤسس الشركة، لفريق "الذكاء العام الاصطناعي" بعد إتمام الصفقة.

ويقول مراقبون أن ميتا اتخذت هذه الخطوة إثر حالة الإحباط التي تعرضت لها جراء أداء واستقبال نموذج "إل.إل.إيه.أم.إيه4"، النموذج اللغوي الكبير الذي طورته. وقد أفادت صحيفة وول ستريت جورنال أن الشركة أرجأت الشهر الماضي إصدار نموذج الذكاء الاصطناعي الرائد "بيهيموث" بسبب المخاوف المتعلقة بقدراته. وكانت الشركات المنافسة مثل شركة أوبن إيه. آي تتطلع أيضاً إلى إجراء تغييرات لاستقطاب المزيد من الاستثمارات في محاولة لتطوير الذكاء العام الاصطناعي.

> الفرق بين الذكاء الاصطناعي العام والذكاء الاصطناعي المتخصص ليس مجرد مسألة تقنية بل هو فرق فلسفي واجتماعي

ويتسع النقاش حول مفهوم الذكاء الاصطناعي العام (AGI) مقارنة بالذكاء الاصطناعي المتخصص أو الضيق (narrow AI) وتسعى الشركات لتحقيق السبق في تطوير الذكاء الاصطناعي العام باعتباره النظام الذي يمتلك القدرة على أداء مجموعة واسعة من المهام، تماماً كما يفعل الإنسان، بل وقد يتجاوزه في بعض الأحيان. وبينما يركّز الذكاء الاصطناعي الضيق على مهام محددة مثل تحليل الصور أو ترجمة النصوص، فإن الذكاء العام يسعى إلى تحقيق فهم وإدراك شمولي، مما يفتح آفاقاً واسعة للتطبيق في مختلف المجالات.

من الناحية المجتمعية، يُعد تطوير الذكاء العام خطوة جريئة قد تُحدث تحولاً جذرياً؛ إذ يمكن أن يؤثر على سوق العمل، التعليم، والرعاية الصحية بشكل لم يسبقه إلا التطور التكنولوجي السابق. ففي حين أن الأنظمة المتخصصة قد تساعد في تحسين الكفاءة في مجالات محددة، فإن الذكاء العام قادر على الابتكار وحل المشكلات المعقدة التي تتطلب تفكيراً متعدد الأبعاد. ومع ذلك، تبرز تحديات كبيرة تتعلق بالأخلاقيات، الخصوصية، وتوزيع الفوائد؛ إذ يخشى البعض من أن يؤدي تجاوز قدرات الإنسان في بعض المجالات إلى تفاقم الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، كما أنه قد يضع الإنسان في موقف تنافسي يصعب مقاومته إذا لم يتم وضع إطار تنظيمي صارم يضمن بقاء الإنسان في قلب التطور التكنولوجي.

إن فتح النقاش حول الفرق بين الذكاء الاصطناعي العام والذكاء الاصطناعي المتخصص ليس مجرد مسألة تقنية، بل هو نقاش فلسفي واجتماعي عميق. فبينما يحمل الذكاء العام وعوداً بتحقيق تقدم كبير في مختلف المجالات، تبرز الحاجة الملحة لوضع إستراتيجيات تضمن استفادة المجتمعات من هذه التقنيات دون أن تُستبدل قدرات الإنسان المبتكرة والروح الإبداعية، وهما الركيزتان الأساسيتان للحضارة والتقدم.

وفي هذا السياق، يعتبر استثمار زوكربيرغ في الذكاء العام الاصطناعي خطوة هامة نحو تجاوز حدود ما هو ممكن، ولكنها تذكّرنا أيضاً بأن التكنولوجيا يجب أن تخدم الإنسان وتساعده على تحسين جودة حياته، لا أن تُستبدل محطات التفكير والإبداع البشري.

بذلك، يكمن التحدي في كيفية تحقيق التوازن بين الاستفادة من الإمكانيات الهائلة للذكاء الاصطناعي العام والحفاظ على دور الإنسان كصانع للرؤية والقصة والمستقبل. وهذا التوازن هو ما سيساهم في رسم مستقبل يضمن ازدهار المجتمعات البشرية مع تبني التطورات التكنولوجية الحديثة، دون التخلي أبداً عن القيم الإنسانية الجوهرية.

تجاوز حدود ما هو ممكن

> من الآلات إلى الإنسان: نظرة شاملة على الذكاء الاصطناعي العام وتأثيره على الحياة

«كانت هنا».. قصائد من مالطا تتغنى بفلسطين

جون بورتلي يمنح الفلسطينيين صوته الشعري المتوسطي

حوار مع الأنثى لحماية الإنسان (لوحة للفنان سليمان المنصور)

انشغل الكثير من الشعراء العرب بالقضية الفلسطينية، حتى إنه لا تكاد تخلو تجربة شاعر من الكتابة عن فلسطين، لكن أن نقرأ عن هذه القضية بأعين غير عربية أمر مثير، إذ كتب شعراء بلغات مختلفة رؤاهم لما يحدث وللإنسان كل منهم بتصور خاص. الشاعر المالطي جون (بيتر) بورتلي واحد من هؤلاء وهو يقرأ تاريخ وواقع بلد يتشارك معه حوض المتوسط.

أيمن حسن
شاعر تونسي

قامت الشاعرة التونسية سنية مدوري، التي تدير دار الفردوس للنشر والتوزيع، بترجمة ديوان "هنا كانت" للشاعر المالطي جون (بيتر) بورتلي.

النظرة الوجودية

ومنذ اللحظة الأولى، عند الدخول في هذا العالم الشعري، يلفت انتباهنا على الفور الإهداء: "إلى خالد عرار، ريما داس، نبال خليل، وليد نبهان، زهير نجار، حنين سمير مقدح"، وهي أسماء عربية، أسماء من فلسطين، يمكننا أن نتساءل إن كان أصحابها على قيد الحياة في ظل ما تعيشه فلسطين منذ السابع من أكتوبر 2023.

للشاعر المالطي والمتوسطي أشياء كثيرة يفاتحنا بها عن جدلية الهوية والانتماء وكأنه جدنا عوليس المسافر الأبدي

الشاهدة الافتتاحية للديوان هي للشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش تلفت كذلك انتباهنا إلى ما تحمله من شعرية مأساوية لطالما تغنت بمصير فلسطين والفلسطينيين، مخلدة إياهم، جاعلة منهم أبطال العصر الحديث: لا أرض ضيقة كأصيص الورود/ كأرضك أنت... ولا أرض واسعة/ كالكتاب كأرضك أنت... ورؤياك/ منفاك في عالم لا هوية للظل/ فيه، ولا جاذبية..."

درويش ببساطته العميقة، بالتزامه الغنائي، بكونيته الشخصية ينطلق من أبسط التفاصيل لتصل إلى أسمى القيم والمبادئ، ولهذا السبب يختار الشاعر المالطي جون بورتلي، وهو الأستاذ الفخري في قسم العدالة الاجتماعية في جامعة تورونتو بكندا، هذه الأبيات بالتحديد، وهي مقتطفة من ديوان "كزهر اللوز أو أبعد" الصادر سنة 2005 عند منشورات رياض الريس، حيث إن هذا الكتاب الشعري يرتقي بالشعر العربي إلى تجربة حديثة ضاربة في الحداثة، تراهن على العمل الدؤوب والمتواصل على التفاصيل الصغيرة التي تصل إلى حد المكاشفة، وهو ما يمثل، عند الشاعر العربي الكبير، قراءة موسوعية للشعر العالمي من خلال علاقته بالثقافة اليابانية وقصيدة الهايكو، وكذلك بتجارب رائدة مثل باول سيلان، فيسوافا شيمبورسكا وديريك والكوت.

نجد عند جون بورتلي نفس المنحى الشعري ونفس النظرة الوجودية، حيث ينطلق كتاب "هنا كانت" من "حيفا" المسبية، نقرأ في قصيدة له مبنية بدقة ورهافة "بحر حيفا يوشوش للحصى البيضاء، ينحتها/ ولد يغرف الرمال المخملية/ وتحت الرياح الجانحة/ يلهو الأطفال بالصدف.../ صرخات النوارس الكادحة/ توقظني/ بينما تختلس نحلة/ هدوء يدي/ حيفا امرأة رشيقة/ حافية القدمين/ توشيها أسراب الجمال/ كنت أبحث عن مقهى/ عندما سألتني من أين أتيت؟/ وقبل أن أجيبك/ قلت بهدوء/ هل تكون، صدفة، فلسطينيا؟/ أجبتك من مالطا، وأنت؟/ لم تنبسي بكلمة/ وأنت؟/ صمت مجددا/ وغامرت بالسؤال: فلسطينية؟/ "نعم"، همست،/ كما لو أنها لا تنتمي إلى هنا".

عن جدلية الهوية والانتماء، يبدو أن للشاعر المالطي والمتوسطي أشياء كثيرة يمكنه أن يفاتحنا بها، وكأنه جدنا عوليس المسافر الأبدي حتى وهو يحلم بالعودة إلى مسقط رأسه إيثاكا. تحمل هذه الأوديسة الجديدة اسما آخر: فلسطين، وهي ربما، كالقدس للمتدينين، عنوان دين جديد أساسه العدل والحرية، من خلال شعب ينزف في كل لحظة.

الشعر والسياسة

ربما يحمل عنوان الكتاب معاني أخرى، أولها هذا الجانب الأنثوي المعلن في "هنا كانت"، حيث إن القصيدة التي تعطي الكتاب عنوانه مبنية على هذه العلاقة بين شخصين اثنين، بين الشاعر المتكلم وبين أنثى، يمكن أن تكون هو الأنثوية أو فلسطين أو الحرية أو الحقيقة بما هي مصطلحات أو شخصيات اصطلاحية أنثوية.

نقرأ في قصيدته "وأنت تقودين السيارة/ كنت أسمع بكاءك/ الدموع الخضراء تتدفق على طول/ الجدار العازل/ من هنا عبر نهر فلسطيني/ هنا كانت قرية فلسطينية/ هنا كانت مدينة فلسطينية/ ها هنا كان حقل فلسطيني/ هنا، هنا.../ أمة تمحوها/ هياكل إسمنتية مستطيلة/ دخلنا القدس برفق/ أسدلت شعرك فدمع منه/ زيت الزيتون."

لو كانت دموع الدم، لكانت صورة شعرية عادية، لكن دموع من زيت الزيتون أجمل وأبلغ بكثير، ومثل هذه الصور موجودة في ديوان "هنا كانت" بغزارة. وهذا بالفعل ما نقرأه في قصيدة "دموع غزة"، حيث الإيجاز يخدم شعرية القصيدة ومصداقية القضية التي تدافع عنها.

يكتب بورتلي "أنتظر الحكمة والإدراك،/ أنتظر وابل القنابل على غزة/ لانتقاء امرأة:/ لقد سرقت هذه الأوراق الفارغة/ حياتي./ حمارعتيق ينهق/ في الفراغ/ الدموع بلا جدوى/ والعطش لا طائل منه/ لتحقيق العدالة./ كم من طفل قتيل/ ستضع جثمانه رهانا،/ وكم من زهرة/ يجب أن تنحني؟/ أيها المغتصب تسرق أحلامنا وتكومها بنهم."

كتب جون بورتلي هذه القصائد سنة 2019، لكنها نشرت بالإنجليزية فالعربية سنة 2023. الدافع السياسي واضح، لأن الشاعر يقول في آخر بيت في الكتاب "حتى الموت سياسي بامتياز". نعم، كل شيء سياسة أي إنه ينبع من رغبة في السلطة ثم في التسلط للهيمنة على مصائر البلاد والعباد. هذا ما تصفه لنا قصائد هذا الشاعر الإنسان النبيل الذي يقول بصوت صادح ما لا يجرأ البعض عن التعبير عنه.

ولا يسعنا إلا أن نتوجه بجزيل الشكر للشاعرة التونسية سنية مدوري على هذا المجهود الجبار الذي يجعل أعيننا دائمة الانفتاح على الجرح الفلسطيني النازف. فلا شك أن الأمور ستتغير وأن الوعي الإنساني سيذهب باتجاه العدل والحرية لأجل دولة فلسطينية كاملة الحقوق. فكما قال الشاعر التونسي الكبير أبوالقاسم الشابي "إذا الشعب يوما أراد الحياة/ فلا بد أن يستجيب القدر/ ولا بد لليل أن ينجلي/ ولا بد للقيد أن ينكسر".

رغم العلاقة المختلة بالآخر.. المسلمون لم يحرقوا مكتبة الإسكندرية

عمان - يرصد كتاب "إدراك العالم.. الصور النمطية المتبادلة بين الأنا والآخر" لزهير توفيق المتبادلة بين العرب المسلمين والآخرين في العصور الحديثة والوسطى، لاسيما الشرق الفارسي والغرب الكنسي.

ويضم الكتاب، الصادر حديثا عن "الآن ناشرون وموزعون" في الأردن، مقدمة ومدخلا تمهيديا وثلاثة فصول وخاتمة. يقول توفيق في المقدمة معرفا بالكتاب "يمثل هذا الكتاب دراسة استقصائية تاريخية وتحليلية لجدل الأنا والآخر، من خلال رصد التصورات المتبادلة بين العرب المسلمين والآخرين في العصور الوسطى والحديثة، كون العرب والمسلمين مثلا ذاتا لتعيين الآخر، وتخيله على المستوى الديني والإثني والسياسي؛ خاصة الفرس والأسود واليهودي والمسيحي، بفرعيه اللاتيني والبيزنطي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كونهم موضوعا للآخرين، أي صورتهم في المخيال الفارسي الشرقي (الشعوبية) والغربي الأوروبي؛ الروماني البيزنطي واللاتيني في القرون الوسطى، وتحولات تلك الصورة في أوروبا العصور الحديثة".

ويؤكد المؤلف في الفقرة الأخيرة من المقدمة نظرة كلا الطرفين للآخر وكيف هي ثابتة لا تتزعزع، فيقول "لم يخرج لا الشرق العربي الإسلامي، ولا الآخر في الشرق والغرب قديما وحديثا عن مسلماته وطرائق تفكيره في فهم الآخر، فقد بقيت ثوابته الحضارية والدينية والإثنية سلطة مرجعية في فهم الذات والآخر، وتمييز الأنا عن الآخرين من فرس ويهود وبيزنطيين ولاتين، ومهما تغيرت الصورة وتحولت لأسباب داخلية وخارجية، فإن الثابت البنيوي فيها هو الآخرية وعمق الغيرية، أي تصعيد الخلاف والاختلاف، فالذات هي المركز الذي تدور حوله الأطراف، والأفضل والمعيار الأمثل، والآخر أو الآخرون مجرد أطراف، هوامش وبرابرة وكفار ومنحرفين، ولا يستحقون أكثر مما تمنحه لهم الذات المتعالية".

ويأتي المدخل التمهيدي للكتاب مستشهدا بالعلاقة بين الأنا والآخر (الشرق والغرب)، على اعتبار أن الشرق حين يذكر يتبادر إلى الذهن الشرق المسلم على وجه الخصوص، والغرب يراد به الغرب الأوروبي بالأساس قديما وحديثا.

يقول توفيق في المدخل التمهيدي "تفترض قراءتنا للموضوع استمرار الصور النمطية للعرب والمسلمين، وهي الصور التي تشكلت في العصور الوسطى، ودخلت معجم الغرب بشكل نهائي كما هو في الاستشراق السياسي والأنثروبولوجي الحديث (الواعي لذاته) الذي نشأ في نهاية القرن الثامن عشر مع حملة نابليون بونابرت على المشرق العربي سنة 1798".

ويحسم المؤلف القضية مؤكدا وضوح رغائب الغرب من الشرق (المسلم)، إذ يقول "لم ولن يتلطف الغرب مع الشرق إلا إذا تواطأ معه على ذاته، وتماهى في خطاب الغرب ومسيرته ورطانته من خلال نخبة فكرية وسياسية وكيلة، نجح الغرب في خلقها ورفعها إلى سدة السلطة، واستمدت مشروعيتها ومرجعية وجودها من دعمه المطلق على جميع المستويات، ومقابل ذاك الدعم سوقت خطابه في ثقافتها العالمة والشعبية على حد سواء، وهذا دليل نجاح الغرب في اختراق الشرق الذي وصل إلى طاعة الوكلاء، وامتثالية التابعين".

وقريبا من نهاية الفصل الأول يفصل المؤلف القول حول أعلام الغرب البارزين الذين تبنوا أفكارا تنويرية ومنهم إدورد جيبون، يقول زهير توفيق "يبدو جيبون منسجما مع التنوير، ويقدم رؤية مستقلة نقدية خاصة لأحكام الغرب المتحاملة والسلبية عن الإسلام حتى ذلك الوقت، ففي عرضه لأخلاق العرب ودياناتهم قبل الإسلام يقول: غير أنه في الدولة العربية، وهي أكثر بساطة من الرومان واليونان، فإن الأمة حرة لأن كل فرد من أبنائها يستنكف أن يطأطئ الرأس في خضوع وذلة لإرادة سيد ما، ولقد حصن العربي نفسه بفضائل صارمة من الشجاعة والصبر والاعتدال ودفعه حبه للاستقلال إلى ممارسة عادة ضبط النفس، وحفظته خشية العار من أن يذل بالخوف من الألم والخطر والموت".

وأضاف جيبون "إن رجاحة عقل العربي وضبط نفسه واضحان في مظهره الخارجي. فحديثه يتميز بالأناة والجزالة والإيجاز، وقلما يستثار ليضحك، والحركة الوحيدة التي يقوم بها هي لمس لحيته، وتلك هي السمة الوقور للرجولة، وقد علمه شعوره بأهميته أن يتحدث إلى أقرانه دون استخفاف، وإلى رؤسائه دون رهبة، وقد بقيت الحرية العربية حتى بعد الفتوحات الإسلامية، وقد أجاز الخلفاء الأوائل أسلوب رعاياهم على ما فيه من رفع الكلفة والجرأة، على أن فنون النحو والعروض والبلاغة لم تكن معروفة للفصاحة العربية التي نشأت حرة، ولكن ذكاءهم كان حادا وخيالهم خصبا، ونكاتهم لاذعة وزاخرة بالحكمة، وربما نجد صدى هذا الكلام في أعمدة الحكمة السبعة للورنس العرب".

ويفند توفيق القضية من وجهة نظر جيبون، ثم يختتم تلك النقطة قائلا "وأخيرا يبرئ جيبون المسلمين من حرق مكتبة الإسكندرية كما يروج الغرب دلالة على تدني المستوى الحضاري والثقافي للعرب المسلمين، يقول: ولكني أميل بشدة - وهذا رأيي الخاص - إلى إنكار هذه الواقعة ونتائجها كلية، فالواقعة حقا غريبة، يقول أبوالفرج نفسه: اقرأ وتعجب، ويرجح رواية هذا المؤرخ الأجنبي الوحيد الذي كتب بعد ستة قرون على 'أرباض ميديا' من مؤرخين أقدم منه".

الكتاب دراسة استقصائية تاريخية وتحليلية ترصد التصورات المتبادلة بين العرب المسلمين والآخرين في العصور الوسطى والحديثة

وفي خاتمة الكتاب يلخص زهير توفيق جوهر الموضوع الذي طرحه بين فصول الكتاب، فيقول "لم تكن الهوة واسعة، ولا المفارقة أشد معرفيا ومنهجيا إلا في قضية الأنا والآخر من العصر الوسيط إلى الوقت الراهن، وهو المدى الزمني الذي رصدناه في الكتاب، فعلى الرغم من المبادئ المؤسسة والوصايا التي جاء بها الوحي، بقي إسلام التاريخ أو الممارسة العينية ممثلا في إسلام السلطة ومعيش الأغلبية بعيدا عن مثاليات إسلام الوحي والنص، وبقيت العدالة والمساواة والرحمة والأخوة والإنسانية المطلوب ممارستها مع الآخر، محصورة في نطاق الأنا، وصعبت الذات العربية الإسلامية الأمور على نفسها في الصراع والمواجهة بتضييق مجالها العام وفضائها المذهبي والإثني، مقابل توسيع جبهة الآخر، وكلما توسع مجال الآخر وتعدد، تقلص مجال الأنا وضاق في الفكر والتاريخ الواقعي".

ومن الجدير بالذكر أن زهير توفيق كاتب وشاعر وأكاديمي أردني، باحث في قضايا الفلسفة والنقد، رئيس جمعية النقاد الأردنيين، عضو الجمعية الفلسفية الأردنية، نشر العشرات من الأبحاث النقدية والفلسفية في الدوريات الأردنية والعربية. صدر له العديد من الكتب الفكرية والفلسفية كما حاز على العديد من الجوائز الأدبية.

صورة نمطية للعربي المسلم (لوحة للفنان زاهي عيسى)

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

أندي وارهول فنان متعدد المواهب حول المهملات والسلع إلى أعمال فنية

«فنان القمامة» الذي أصبح نجم تصميم الإعلانات في ستينات وسبعينات القرن الماضي

أندي وارهول أحد أبرز رموز حركة البوب آرت في القرن العشرين، فنان متمرد تميز بأسلوبه الفريد الذي حول الأشياء اليومية إلى أعمال فنية. ما جعل بعض النقاد يرون في فنه ثورة ضد النخبوية الفنية، بينما اتهمه آخرون بالسطحية. رغم ذلك، يُعتبر اليوم شخصية محورية غيّرت مفاهيم الفن الحديث.

إلياس حموي
كاتب سوري

في عام 1968 اقتحمت الكاتبة الأميركية النسوية المتطرفة فاليري سولاناس محترف الفنان الأميركي أندي وارهول وأطلقت النار عليه لأنه لم يقم بتنفيذ فيلم من تأليفها.

أصابته الكاتبة إصابة بالغة، كما أصابت الرصاصات التي أطلقتها عدة لوحات فنية ومن ضمن اللوحات التي أصيبت أربع لوحات لمارلين مونرو من أصل خمس لوحات كان قد رسمها وارهول لها عام 1964 بعد وفاتها بعامين. أما اللوحة الخامسة التي لم تصب برصاص سولاناس فأسماها وارهول "لقطة مارلين الزرقاء الرزينة" هذه اللوحة التي ستصبح لاحقا من أغلى اللوحات في العالم حيث بيعت منذ ثلاثة أعوام في مزاد كريستيز الشهير بنيويورك بمبلغ 195 مليون دولار وهو من أكبر الأرقام التي تباع به لوحة فنية على مر العصور، محطمة بذلك الرقم القياسي الذي حققته لوحة "نساء الجزائر" للرسام الإسباني بابلو بيكاسو التي بيعت عام 2015 بمئة وثلاثة وسبعين مليون دولار.

رسام سلع استهلاكية

كان هذا أكبر رقم تحصل عليه لوحة فنية في التاريخ بعد لوحة "المسيح المخلص" لفنان عصر النهضة ليوناردو دافنشي لتأتي بعدها لوحة الفنان، وصديق أندي وارهول المقرب، ميشيل باسكيات المسماة "الجمجمة" وتباع بمئة وعشرة ملايين دولار، وهو أيضا يعد مبلغا كبيرا بالنسبة للوحة فنية لكنهم لم يصلوا إلى سعر "لقطة مارلين الزرقاء" التي هي عبارة عن لوحة لوجه مارلين مونرو تظهر فيها وهي تبتسم بهدوء مأخوذة عن صورتها للملصق الدعائي لفيلم "نياغارا" عام 1953، وأدت فيه شخصية روز الجميلة زوجة المحارب القديم جورج لوميس الكبير بالسن والذي تخونُه مع باتريك عشيقها وتخطط لقتله معه فتكتشف بولي، العروس الجديدة التي جاءت إلى شلالات نياغارا لقضاء شهر العسل مع زوجها راي كاتلير، الأمر مما يعرض حياتها للخطر.

استوحى أندي وارهول لوحته من ملصق هذا الفيلم، وعلى ما يبدو أن الصورة أثارت إعجابه كثيرا حتى اعتمدها في لوحة وأضاف عليها ألوانه حيث لون شعر مارلين بالأصفر ووجهها بالوردي وظلل عينيها بالأزرق الفاتح كلون خلفية اللوحة وشفاهها بالأحمر الغامق وفي أذنيها قرطين باللون الفضي.

> في ستينات القرن الماضي رسم وارهول صور المشاهير كمارلين مونرو ومايكل جاكسون مستخدما الطباعة الحريرية

كانت هذه اللوحة واحدة من سلسلة لوحات بدأ وارهول برسمها منذ العام 1962 العام الذي توفيت فيه مونرو، وكلها مأخوذة من صورة الفيلم نفسه مع اختلاف الألوان في كل نسخة. كانت أول لوحة هي "مارلين ديبتش" وهي عبارة عن خمسين صورة مكررة لوجه مونرو في اللوحة التي قسمت إلى قسمين؛ قسم ملون وقسم باللونين الأبيض والأسود، بواسطة الطباعة الحريرية التي كان يستخدمها وارهول بفنه، ثم رسم في العام نفسه لوحته الشهيرة الأخرى مارلين الذهبية وهي لوحة لوجه مارلين نفسه مطبوعة بالشاشة الحريرية على قماش مطلي باللون الذهبي استخدم أندي فيها حبر الشاشة الحريرية على طلاء البولمير الاصطناعي على القماش فكانت النتيجة هذه اللوحة.

بعدها بعامين أي في عام 1964، أكمل وارهول مشروعه هذا الذي بدأه عن مونرو وأسماه لقطات مارلين وهو عبارة عن لوحة جمعت الوجه نفسه بأربع أقسام وكل قسم لون بلون معين وأطلق على كل واحدة منها لقب اللون الطاغي عليها فمرة أسماها "مارلين الحمراء" ومرة "البرتقالية" ومرة "الخضراء"، فكانت مونرو بالنسبة له على حد قوله مثلها مثل أي سلعة استهلاكية وضعت على رفوف المتاجر وهو الذي كان مهووسا بتحويل هذه السلع إلى فن شعبي بدأه برسم زجاجة الكوكا كولا الشهيرة عام 1962، فأثار دهشة النقاد والجمهور على حد سواء لكنهم أعجبوا بفنه الجديد الخارج عن المألوف الذي ابتكره.

كان وارهول أول فنان يحول المهملات إلى فن، وهو الذي أطلق عليه "فنان القمامة" في بدايته وكان النقاد والفنانون يتندرون حين يأتون على ذكره حيث يقولون "إنه يركض نحو القمامة أكثر من الجرذان نفسها"، ليحول كل ما تقع عليه يده إلى فن.

في مرحلة لاحقة انتقل من جمع المهملات إلى رسم المواد الاستهلاكية للمجتمع الأميركي المعاصر كنوع من النقد لثقافة الاستهلاك التي ازدادت في المجتمع بكثرة، ومن أشهر رسوماته لوحة "حساء كامبل" عام 1968، تحتوي اللوحة على عشر صور مكررة لعلبة الحساء الملونة بالأبيض والأحمر مما أثار إعجاب الشركات التجارية فبدأت تجتذبه إليها بفضل الشهرة التي أطلقها لمنتجاتها الشهيرة أصلا.

وفي سنوات ستينات القرن الماضي انتقل إلى رسم صور المشاهير من نجوم الفن والسياسة كألفيس بريسلي ومارلين مونرو وإليزابيت تايلور ولاحقا مايكل جاكسون مستخدما أسلوب الطباعة الحريرية على القماش، فدمج الصور الفوتوغرافية بالألوان الزيتية لينتج خليطا فنيا ينتمي إلى تيار البوب آرت "الفن الشعبي" هذا الفن المولود من رحم الثقافة الاستهلاكية للسلع، حيث قال وارهول عن فنه هذا "الاستهلاك أكثر أميركانية من التفكير، وأنا أميركي."

تعاقدت معه شركات الإعلانات الكبرى في عصره لتصميم لوحاتها الإعلانية فأصبح نجم المرحلة في حينها بفنه الجديد والذي كان يستخدم فيه تقنية حديثة ابتكرها بنفسه وهي استخدام جهاز لتكبير انعكاس الصور الفوتوغرافية على قطعة قماش معلقة على الجدار ثم يبدأ بطلاء القماش دون تحديد العناصر بقلم الرصاص وهو ما جعل لوحاته أقرب إلى التصميم الغرافيكي أكثر من قربها من الرسم الكلاسيكي.

من رسام المهملات إلى رسام أشهر الإعلانات

نشأة الفن الشعبي

ظهر مصطلح "البوب آرت" لأول مرة عام 1954 في مقالة للناقد الفني البريطاني لورانس ألواي بعد أن شاهد كلمة "pop" مكتوبة على اللوحة التي عرضها الفنان إدواردو باولوزي في الاجتماع الذي عقد في لندن في خمسينات القرن الماضي، والذي ضم فنانين وكتابا ومعماريين وألقى فيها باولوزي محاضرة طويلة عن الثقافة البصرية السائدة في وقته موجها نقدا لاذعا للثقافة الاستهلاكية التي بدأت تنتشر بكثرة في المجتمع المعاصر، حيث قام بعرض لوحته الشهيرة المسماة "كنت ألعوبة رجل غني" التي استخدم فيها أسلوب الكولاج وتظهر في منتصفها فتاة إعلانات مرتدية فستانا أحمر وبجانبها كتبت كلمة "pop " بخط أسود واضح وكانت هذه البداية الحقيقية لولادة التيار الفني الجديد المسمى البوب آرت في بريطانيا والذي انتقل لاحقا إلى الولايات المتحدة الأميركية وازدهر على يد أندي وارهول وأصدقائه من الفنانين وعلى رأسهم ميشيل باسكيات.

وكان وارهول متنوع الاهتمامات ومتعدد المواهب فبالإضافة إلى كونه رساما كان أيضا موسيقيا ومصورا فوتوغرافيا ومخرجا سينمائيا، حيث صنع أفلاما كثيرة كانت تجريبية بمعظمها بدأ مع فيلمه الطويل "النوم" عام 1963، صور فيه الشاعر الأميركي جون جيورنو نائما لمدة خمس ساعات وبعدها بعام أنتج فيلمه الصامت "إمباير" عام 1964 وهو عبارة عن لقطات بطيئة لمبنى إمباير ستيت في نيويورك ومدته ثماني ساعات.

عام 1966 صنع فيلمه الذي حقق نجاحا تجاريا كبيرا "فتيات تشيلسي" ومدته ثلاث ساعات واستخدم به تقنية الشاشة المنقسمة، وبالإضافة إلى صناعة الأفلام اهتم وارهول بالفيديو كثيرا حيث صنع المئات من الساعات المصورة لمواضيع متنوعة فولد على يده فن "الفيديو آرت" الذي أصبح فنا مستقلا لاحقا، لكن شيئا من كل هذه الإنجازات لم يحقق له الشهرة التي حققتها له رسوماته لنجمة هوليوود الكبيرة مارلين مونرو فارتبط اسمه باسمها ارتباطا وثيقا.

«الفنان النبيل» يستعيد تجربة رسام الغرافيك المصري أشرف الحادي

القاهرة - احتفاء بمسيرة واحد من أهم فناني الغرافيك في مصر، ينظم مركز الجزيرة للفنون بالزمالك، معرضا بعنوان "الفنان النبيل" يستعيد من خلاله تجربة الفنان الراحل أشرف الحادي (1998 – 2020).

وافتتح الدكتور أحمد فؤاد هنو، وزير الثقافة، المعرض الاستعادي الذي يستمر حتى السادس والعشرين من يونيو الجاري، بحضور الدكتور وليد قانوش، رئيس قطاع الفنون التشكيلية، والدكتور أحمد رجب صقر، إلى جانب عدد من الفنانين والنقاد ومحبي الفنان الراحل.

وقالت وزارة الثقافة إن "المعرض يأتي في إطار حرص الوزارة على تكريم رواد الفن التشكيلي الذين أثروا المشهد الفني المصري بإبداعاتهم وتجاربهم المتميزة".

محطات بارزة في مسيرة فنان مثقف

ويضم المعرض مجموعة منتقاة من أعمال الفنان الراحل، التي تعكس محطات بارزة في مسيرته الفنية والأكاديمية.

وخلال الافتتاح، قال وزير الثقافة "يمثل الفنان أشرف الحادي نموذجا للفنان المثقف والباحث، الذي لم يكتف بممارسة الفن، بل عمل على تعميق رؤيته الجمالية من خلال الدراسة والتجريب. ويأتي هذا المعرض تكريما لمسيرته الثرية، وتقديرا لعطائه المميز في مجال الغرافيك والفنون البصرية."

من جانبه، قال الدكتور وليد قانوش "كانت تجربة أشرف الحادي الفنية مزيجا من التأمل الفلسفي والتعبير الشخصي، وقد حملت أعماله طاقة شعورية تفتح أمام المتلقي آفاقا واسعة للتأمل، وتُجسّد التقاء التجربة الذاتية بالوجدان الإنساني العام."

ويُعد الفنان أشرف الحادي من أبرز فناني الغرافيك في مصر، حيث حصل على بكالوريوس الفنون الجميلة (قسم الغرافيك) من جامعة المنيا، ثم واصل دراسته ليحصل على دبلوم في النقد الفني وعلم الجمال من الجامعة ذاتها عام 1993، تلاه ماجستير في الفنون من جامعة حلوان، ودراسات متقدمة في أكاديمية الفنون الجميلة بمدينة فلورنسا الإيطالية عام 2004، ثم دراسات تخصصية عن الورق في معهد التكنولوجيا بكيوتو باليابان عام 2009. وقد تُوّجت مسيرته الأكاديمية بالحصول على درجة الدكتوراه في فلسفة الفن من جامعة المنيا.

شارك في العديد من المعارض الفردية والجماعية داخل مصر وخارجها، ونال عددًا من الجوائز المهمة، مما جعله علامة مميزة في تاريخ الفن المصري المعاصر. كما عمل في سلك التدريس بكلية الفنون الجميلة جامعة المنيا، وشغل منصب مدير متحف الفنون الجميلة بالجامعة من 2012 إلى 2014. كما أجرى دراسات في أكاديمية الفنون الجميلة في فلورنسا، بإيطاليا، عام 2004. وأجرى دراسات عن الورق في معهد التكنولوجيا في كيوتو، باليابان، عام 2009.

يُعد الفنان الراحل من أبرز رواد فن الغرافيك المعاصر في مصر والعالم العربي، حيث تميز بأسلوب فني متفرد جمع بين التقنية العالية والعمق الفلسفي. كما برع في توظيف تقنيات الحفر والطباعة اليدوية بأسلوب معاصر، وجعل من فن الغرافيك وسيلة تعبير جمالية تتجاوز الجانب التقني إلى فضاءات رمزية وفكرية.

ورأى بعض النقاد التشكيليين في أعماله نوعا من "القصائد البصرية"، حيث تتداخل الرموز والخطوط والألوان في انسجام ملفت، يعكس وعيا فنيا وثقافيا متجذرا. واعتبر بعضهم أيضا أن الحادي استطاع أن يضفي على الغرافيك طابعا تأمليا لا يخلو من البعد الفلسفي، حيث تُعبر أعماله عن حالات إنسانية، وتحمل في الكثير من الأحيان إشارات إلى الذاكرة الجمعية والهوية المصرية.

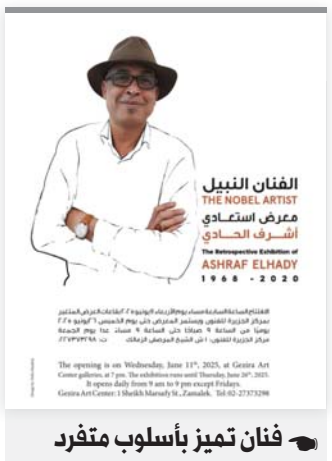

> فنان تميز بأسلوب متفرد جمع بين التقنية العالية والعمق الفلسفي وبرع في توظيف تقنيات الحفر والطباعة اليدوية

وتظهر أعمال الفنان الراحل قدرته على تجديد المفردات البصرية دون أن يفقد جذوره الثقافية، ما جعل تجربته تعكس توازنا بين الأصالة والمعاصرة، حتى إن البعض وصف أعماله بأنها "لغة صامتة تُكتب بالخطوط والفراغ"، في إشارة إلى عمق التعبير الفني دون حاجة إلى الكلمات.

نال أشرف الحادي تقديرا كبيرا من المؤسسات الثقافية والنقدية داخل مصر وخارجها، واعتُبر فوزه بجوائز من بينالية دولية في اليابان وبولندا وفرنسا، ووجوده في معارض عالمية من بينها الأكاديمية المصرية في روما، دليلا على مكانته المرموقة. كما اعتبره بعض النقاد صوتا بصريا مؤثرا استطاع أن يعيد تعريف فن الغرافيك المصري على المستوى الدولي من خلال أدوات تعبيرية شجاعة وحديثة.

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

أفلام مغربية تنتقد الهوس بالترند على حساب الإنسانية

«البوز» و«روتيني» فيلمان عن انتشار ثقافة السوشيال ميديا وسلبياتها

يواجه بعض المخرجين المغاربة التحديات المالية بصناعة أفلام جذابة تهتم بمواضيع آنية ومؤثرة في المجتمع المغربي وخارجه، ومن هذه المواضيع ثقافة الترند والهوس بالانتشار والشهرة على السوشيال ميديا، وهو ما تطرق إليه أكثر من عمل سينمائي هذا العام، ما مكنهم من تحقيق نجاح لافت للانتباه.

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

الرباط - في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية التي تشهدها المجتمعات المغربية، تعتبر السينما أداة فعّالة للتعبير عن التغيرات المجتمعية وتأثيراتها على الأفراد. ومع تطور وسائل التواصل الاجتماعي وانتشارها الواسع في حياة الناس اليومية، أصبحت هذه الأدوات الرقمية محورية في التفاعلات الاجتماعية.

وتبرز أفلام مثل "البوز" و"روتيني" كمحاولات سينمائية مغربية لطرح قضايا العصر الراهن، بما في ذلك السعي وراء الشهرة عبر الإنترنت وتداعيات ذلك على الحياة الشخصية، ورغم الإمكانيات المحدودة التي تحيط بإنتاج هذه الأفلام إلا أن كلا العملين نجحا في الجمع بين الترفيه والرسائل النقدية التي تعكس الواقع الاجتماعي.

وتدور أحداث الفيلم السينمائي "البوز" للمخرجة المغربية ديمنة بونعيلات حول فتاة شابة من حي شعبي تمتلك موهبة كبيرة في الغناء، ولكنها تواجه الكثير من العراقيل بسبب هيمنة أسماء غير موهوبة على الساحة الغنائية.

الفيلم من سيناريو كليلة بونعيلات، وبطولة كل من دنيا بطمة وعبدالله فركوس وابتسام بطمة ونعيمة بوحمالة ومراد العشابي ورفيق بوبكر. ويتناول تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات الشخصية وسبل إدارة الهوية في العصر الرقمي، وذلك من خلال شخصية البطلة التي تسعى للظهور على منصات السوشيال ميديا لتصبح مشهورة، وتبين مشاهد الفيلم انغماس المجتمع في سعي محموم وراء الشهرة على حساب القيم الإنسانية والتواصل الواقعي، وتزداد هذه الظاهرة في المغرب مع انتشار هذه الوسائل الرقمية، وهذا يخلق فوارق بين العلاقات الحقيقية والعلاقات المبنية على "الظهور" والادعاء، واستخدمت المخرجة أسلوبا سرديا بسيطا ولكنه قوي، يبرز التوترات النفسية والاجتماعية التي تنجم عن هذه الممارسات، ليجعل من فيلم "البوز" مرآة اجتماعية تفضح الغطاء الزائف للشهرة الرقمية.

من جانبها، تدور أحداث فيلم "روتيني" للمخرج لطفي آيت الجاوي حول موضوع متقارب، حيث تصور ربة منزل تدعى نورا تبدأ في نشر تفاصيل حياتها على وسائل التواصل الاجتماعي، فيقلب دورها الجديد باعتبارها مؤثرة حياة عائلتها رأسًا على عقب وخاصة زوجها عبدالواحد المحامي المتألق.

الفيلم من بطولة عزيز داداس وماجدولين الإدريسي ورفيق بوبكر وسعاد العلوي. ويطرح معالجة لمفهوم الخصوصية في ظل التوسع الكبير لوسائل التواصل الاجتماعي؛ فبطل الفيلم، وهو محام يعاني من تأثير تصرفات زوجته عبر الإنترنت، يمثل شخصية واقعية تمثل الصراع بين الحياة الشخصية والمهنية في عصر يحاصرنا فيه الفضاء الرقمي، وهذا الصراع يظهر في العديد من الأسر المغربية التي باتت حياتها الخاصة عرضة للجمهور على وسائل التواصل، وهذا يهدد التوازن الأسري.

ويبرز المخرج لطفي آيت الجاوي كيفية تأثير العوامل الرقمية على العلاقات الزوجية والعاطفية في سياق يطرح تساؤلات حول تأثير الثقافة الرقمية على استقرار الحياة الشخصية.

ومن الواضح أن أحد أهم التحديات التي تواجه السينما المغربية قلة الإمكانيات المادية، بينما استطاع كل من "البوز" و"روتيني" أن يتفوقا على العوائق من خلال استخدام الموارد المتاحة، ففي "البوز" على سبيل المثال تم استخدام مواقع تصوير حقيقية، وكان التركيز على الحياة اليومية يضفي مصداقية على واقع المشاهد، كأداة لخلق تفاعل أكبر مع المشاهد الذي يمكنه التعرف على البيئة التي تجري فيها الأحداث، كما أن التصوير الداخلي والابتعاد عن تكاليف مواقع التصوير المعقدة سهلا أيضًا عملية التحكم في أجواء الفيلم بشكل فعال.

وفي فيلم "روتيني" كانت الكلفة المحدودة حافزًا على خلق التركيز على التفاصيل الصغيرة التي تؤثر على العلاقات الإنسانية، إذ اعتمد الفيلم مشاهد يومية قللت من التكاليف.

وتعد السينما وسيلة قوية لطرح قضايا المجتمع والتفاعل معها. وفي "البوز" و"روتيني" يتبين أن السوشيال ميديا تشكل محركًا رئيسيًا في تغيير الملامح الاجتماعية، ويعكس فيلم "البوز" هذه الحقيقة من خلال نقده لظاهرة الشهرة الرقمية، حينما يحاول أن يوضح كيف أن البعض قد يستعرض حياته الشخصية على الإنترنت من أجل الحصول على "البوز" والشهرة، غير مدرك العواقب النفسية والاجتماعية لهذا السلوك، فالفيلم يثير تساؤلات حول قيم المجتمع في ظل انتشار هذه الظاهرة، ويُظهر كيف أن هناك فوارق بين القيمة الحقيقية للإنسان والاهتمام بالظهور العام.

دنيا بطمة نجمة «البوز»

المخرج لطفي آيت الجاوي قدم عملا يحاكي الواقع المغربي ويثير الأسئلة حول القيم في ظل تطور التكنولوجيا

وفي فيلم "روتيني" يتم تناول موضوع الخصوصية بشكل أكثر وضوحًا، وكيفية التأثير السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات الزوجية، كما يتم تصوير شخصية المحامي وزوجته في حالة من التوتر المستمر بسبب التصرفات على الإنترنت، ويقدم هذا الفيلم نقدًا مباشرًا للثقافة الرقمية التي جعلت من الحياة الشخصية عرضة للجميع، وهذا يبرز مشكلة حقيقية في المجتمع المغربي اليوم.

وفي كلا الفيلمين يتم التركيز على التأثير النفسي للتكنولوجيا على الأفراد، وفيلم "البوز" يعرض كيف أن السعي وراء الشهرة قد يؤدي إلى مشاعر العزلة والقلق، إذ يصبح الشخص مهتمًا برأي الآخرين أكثر من اهتمامه براحة نفسه، بينما في "روتيني" يبرز التوتر النفسي الذي يعاني منه الزوج بسبب تصرفات زوجته على السوشيال ميديا، وهذه المواقف تُظهر العقد النفسية التي يواجهها الأفراد في عصر التواصل الرقمي، إذ يصبح الحفاظ على السلام الداخلي أمرًا صعبًا في ظل ضغط العالم الافتراضي.

ونجح كلا الفيلمين في تقديم مزيج من الترفيه والنقد الاجتماعي، وهذا جعل من الصعب على الجمهور أن يرفض مشاهدة أي منهما، ففي "البوز" تم تضمين عناصر فكاهية تتعلق بثقافة السوشيال ميديا، وجعل الفيلم أكثر جذبًا لشريحة واسعة من الجمهور الذي يعشق التسلية ويبحث عن محتوى يتناسب مع العصر الرقمي، أما "روتيني" فقد وظف الأسلوب الدرامي ليكون أكثر تأثيرًا في تقديم نقد اجتماعي قوي دون الابتعاد عن الجاذبية التجارية.

وتعتبر القدرة على الترفيه مع تقديم رسائل نقدية أمرًا بالغ الأهمية في السينما التجارية، خاصة في ظل الظروف الحالية التي تتسم بتوجه الجمهور نحو الأعمال التي تتناغم مع اهتماماته الرقمية دون أن تبتعد عن القضايا العميقة.

ويتضح أن الفيلمين المغربيين "البوز" و"روتيني" قد استطاعا استثمار الظروف الاجتماعية الراهنة في المغرب لتحويل هذه التحديات إلى فرص سينمائية ذات طابع نقدي وتجاري في آن واحد. فمن خلال التركيز على قضايا الشهرة الرقمية وتأثيرها على الحياة الشخصية قدمت الأفلام صورًا واقعية لمجتمع يتغير بسرعة تحت وطأة العصر الرقمي، ورغم عراقيل الإنتاج التي تواجه صناعة السينما المغربية استطاع المخرجان ديمنة بونعيلات ولطفي آيت الجاوي أن يقدما أعمالًا مبتكرة تحاكي الواقع وتثير الأسئلة حول القيم الاجتماعية في ظل تطور التكنولوجيا، وهذا تحديدا يوضح قدرة السينما على التأثير في المجتمع وتحقيق النجاح التجاري من خلال رسائلها النقدية المؤثرة.

وسابقا ناقشت مجموعة من الأشرطة التلفزيونية الموضوع نفسه من وجهة نظر درامية، كشريط "فرصة ثانية"، وهو من إخراج هشام الجباري، تدور أحداثه حول شابة تُدعى سعاد وتعيش في وسط اجتماعي بسيط، لكنها تطمح إلى حياة أكثر رفاهية وبذخ، متأثرة بما تراه على وسائل التواصل الاجتماعي من مظاهر الترف والنجاح الزائف. وبعد أن تفوز بجائزة مالية ضخمة، ترى في هذا الحدث فرصة للهروب من واقعها، فتقرر الانفصال عن زوجها عادل، الرجل الكادح الذي يجسد القيم الأصيلة كالوفاء والتواضع والكرامة. لكن سعاد سرعان ما تكتشف أن المال لا يشتري السعادة، وأن المظاهر التي حلمت بها ليست سوى سراب، فتدخل في دوامة من الضياع والخيبة.

ويعالج الفيلم بأسلوب درامي اجتماعي التحولات النفسية والسلوكية التي قد تحدث للإنسان عند تغيّر وضعه المادي، ويطرح تساؤلات عميقة حول قيمة المبادئ في زمن طغت فيه الماديات، كما يبرز خطر الانسياق الأعمى وراء الصورة اللامعة التي يروج لها عالم السوشيال ميديا.

وهناك أيضا الشريط التلفزيوني "كوكو لبنات" من إخراج صفاء بركة، الذي يتناول بشكل عميق ومؤلم التحولات التي تطرأ على الحياة الزوجية نتيجة الانغماس في عالم السوشيال ميديا، من خلال قصة الزوجين علي وحياة، إذ يروي الفيلم قصة حب بدأت في الجامعة وتُوجت بالزواج، غير أن طموح حياة لدخول عالم اليوتيوب، في البداية كوسيلة للتسلية والتعبير، سرعان ما تحول إلى هوس بالشهرة وسباق نحو الترند، وأحدث شرخًا كبيرًا في علاقتها بزوجها، ومع ازدياد شهرة القناة التي أنشأتها انقلبت الأدوار، وبدأ الزوج بدوره يتورط في هذا العالم الافتراضي، إلى درجة أنه ارتكب فعلا صادمًا عندما أعطى زوجته دواء أدى إلى فقدانها الجنين دون علمها، فقط من أجل زيادة عدد المشاهدات.

> «روتيني» تفوق على أحد أهم التحديات التي تواجه السينما المغربية وهي قلة الإمكانيات المادية

«عالم خارج النص» يرصده مهرجان عمان السينمائي الدولي

عمان - ترفع الدورة السادسة من مهرجان عمّان السينمائي الدولي "أول فيلم" شعار "عالم خارج النص"، في إشارة إلى التغييرات المتلاحقة التي تجري في العالم، وستقام في الفترة الممتدة من الثاني إلى العاشر من يوليو القادم بمشاركة أكثر من 60 فيلما من 23 دولة.

وقالت إدارة المهرجان في بيان صحفي إن الأفلام المشاركة تتوزع على أربع مسابقات هي مسابقة الأفلام الروائية الطويلة وتضم 10 أفلام، ومسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة وتضم سبعة أفلام، ومسابقة الأفلام القصيرة وتضم 19 فيلما، ومسابقة الأفلام غير العربية وتضم سبعة أفلام، إضافة إلى قسمين غير تنافسيين.

يمثل الأردن في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة فيلم "سمسم" من إخراج سندس سميرات فيما يمثلها في مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة فيلما "أم المدارس" للمخرج عبدالله عيسى و"احكيلهم عنا" من إخراج رند بيروتي.

وانطلق المهرجان لأول مرة عام 2020 بهدف تسليط الضوء على الأعمال الأولى في صناعة الأفلام، ويقام سنويا بالشراكة مع الهيئة الملكية الأردنية للأفلام وهيئة تنشيط السياحة الأردنية وعدد من المؤسسات الخاصة.

وقالت رئيسة المهرجان الأميرة ريم علي "تحتفي هذه الدورة بغير المتوقع، وبعمق التجربة الإنسانية في عالم متقلب وسريع التغيير، فالحياة لا تسير وفق نص مكتوب، والسنوات الأخيرة خير دليل على ذلك."

وستحل إيرلندا "ضيف شرف" الدورة السادسة حيث سيجري تنظيم برنامج خاص سيحتفي بإنتاجها السينمائي.

وقالت عريب زعيتر مديرة قسم البرمجة في المهرجان "في هذه النسخة من المهرجان يبوح صانعو الأفلام بما في قلوبهم من حكايات تتحدى النمطية والتشويه -حكايات تنبض بالحق، بالعمق، بالإبداع وبالشجاعة. نتوق إلى جلب هذه القصص، من منطقتنا والعالم، إلى الشاشة الكبيرة، ونسعى إلى جعلها في متناول أوسع جمهور ممكن."

وذكرت إدارة المهرجان أنها عملت هذا العام على دمج لغة الإشارة في بعض العروض لتكون متاحة لفئة الصم وضعاف السمع، مشيرة إلى أن أغلب الأفلام ستكون مترجمة إلى اللغتين العربية والإنجليزية.

وستُعرض أفلام المهرجان في ثلاث دور عرض بالعاصمة الأردنية عمّان مع تنظيم عروض في محافظات أخرى.

وتضم مسابقة الأفلام العربية الروائية الطويلة 10 أعمال، وهي "البحث عن منفذ لخروج السيد رامبو" إخراج خالد منصور، و"الذراري الحمر" إخراج لطفي عاشور، و"إلى عالم مجهول" إخراج مهدي فليفل، و"أناشيدُ آدَم" إخراج عدي رشيد و"196 متر" إخراج شكيب طالب بن دياب.

كما ينافس فيلم "قرية قرب الجنة" إخراج مو حراوي، و"دخل الربيع يضحك" إخراج نهى عادل، و"سمسم" إخراج سندس سميرات، و"آية" إخراجماية عجمية ايطلى زلامة و"شكرًا لأنك تحلم معنا" إخراج ليلى عباس.

أما مسابقة الأفلام العربية الوثائقية الطويلة فستشهد مشاركة 7 أعمال، وهي "أبو زعبل 89" إخراج بسام مرتضى، و"نحن في الداخل" إخراج فرح قاسم، و"فتنة في الحاجبين" إخراج عمر مسمار، و"وقت مستقطع 22" إخراج علي قزويني، و"أم المدارس" إخراج عبدالله عيسى، و"أمك، أمي" إخراج سميرة الموزغيباتي و"احكيلهم عنا" إخراج رند بيروتي.

وسيشارك في مسابقة الأفلام العربية القصيرة 19 فيلمًا متنوعًا، وهي "أنت أرنب؟" إخراج حاتم إمام، و"شِيخَة" إخراج أيوب اليوسفي وزهوة راجي، و"مكان غارق بالتفاصيل" إخراج جورج أشقر، و"جهنّميّة" إخراج ياسر فايز، و"قزم أبيض" إخراج أسيد موسى مقدادي، و"كاستينغ" إخراج يوسف الصنهاجي و"خطيئة" إخراج حسن حسين مقدادي.

ويأتي ذلك بجانب فيلم "مانجو" إخراج رندا علي، و"نهار عابر" إخراج رشا رزق شاهين، و"عناق المجهول" إخراج غالية خالد حداد، و"نظرة من الخارج" إخراج تارا الخص، و"آخر أيام الصيفية" إخراج بيار مزنر، و"حلقة" إخراج إسلام قطب، و"روج" إخراج سماهر موصلي، و"ونعم" إخراج مساعد القديفي، و"لا جسد لا أحد" إخراج مسلم هديب، "1/2 رحلة" إخراج رنا مطر، و"خلف ستائر موصدة" إخراج قاسم صقلي و"حرز" إخراج كرار حيدر.

وستتنافس 7 أعمال في مسابقة الأفلام غير العربية، وهي "نهاية سعيدة" من إخراج نيو سورا، و"آرماند" إخراج هالفدان أولمان تونديل، و"كلب قيد المحاكمة" إخراج لاتيتيا دوش، و"قصة عائشة" إخراج إليزابيث فيبرت، و"كل ما نتخيله كالضوء" إخراج بايال كابادي، و"لمسة مألوفة" إخراج سارة فريدلاند و"حكايات من حديقة سحرية" إخراج ديفيد سوكوب وباتريك باش وليون فيدمار وجان كلود روزيك.

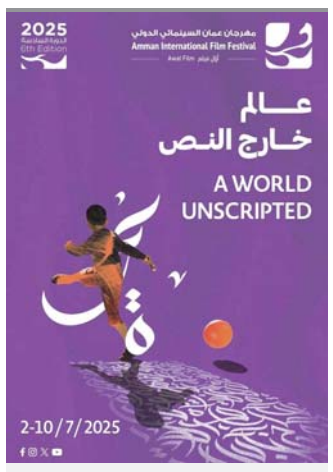

الأردن تمثله في المهرجان ثلاثة أفلام من بينها فيلم «سمسم» في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة

وسيعرض برنامج "أفلام خارج المسابقة" فيلم "تحت سقف أمي" إخراج كريستيان أبي عبود، و"الأونروا، 75 عامًا من تاريخ مؤقّت" إخراج نيكولاس وادي موف وليانا صالح، و"يلا باركور" إخراج عريب زعيتر، و"المهمة" إخراج اثنين من الكوادر الطبية من غزة و"بلياتشو غزة" إخراج عبدالرحمن صباح.

كما ستُعرض 4 أفلام من سلسلة "من المسافة صفر"، وهي "أحلام صغيرة جدًا" إخراج اعتماد وشاح، و"حسن" إخراج محمد الشريف، و"الأمنية" إخراج أوس البنا، و"ألوان تحت السماء" إخراج ريما محمود، وذلك بجانب "ما بعد" إخراج مها حاج، و"سينما مسرة" إخراج ستيفاني أمين، و"أهازيج" إخراج مي الغوطي و"مسرحية الساعة الثامنة" إخراج محمد حشكي.

مهرجان يعرض حكايات تتحدى النمطية والتشويه

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

طريقة ميكانيكية جديدة لإزالة الجلطات الدموية من الجسم

التقنية لا تكسر الجلطة بل تضغط عليها مثل القطن وتقلص حجمها بنسبة تصل إلى 95 في المئة

لأن الطرق التقليدية لإزالة الجلطات، مثل الشفط واستخدام شبكات الاسترجاع أو التفتيت، تعتبر محدودة الفاعلية بات من الضروري تطوير تقنية جديدة قادرة على تكسير الجلطات في زمن قياسي، وهو ما قام به خبراء أميركيون ابتكروا جهازا يزيل الجلطات الدموية الكثيفة من الجسم في ثوان. ولا يكسر الجهاز الجلطة بل يضغط عليها مثل القطن ويقلص حجمها بنسبة كبيرة.

الطرق التقليدية في تفتيت الجلطات الدموية لم تعد ناجعة

واشنطن - ابتكر مهندسون أميركيون جهازا جديدا لإزالة الجلطات الدموية الكثيفة من الجسم. وتسمى هذه التقنية الجديدة "ميللي سبينور ثروميكتومي" وتعتمد على جهاز دوار متناهي الصغر وقادر على تدمير وإزالة حتى الجلطات الدموية الكثيفة وكبيرة الحجم بسلامة وفي ثوان معدودة.

وأشار القائمون على تطوير التقنية المذكورة إلى أن الطرق التقليدية لإزالة الجلطات، مثل الشفط واستخدام شبكات الاسترجاع أو التفتيت، تعتبر محدودة الفاعلية؛ إذ تفشل بنسبة تصل إلى 30 في المئة، وخاصة مع الجلطات الغنية بألياف الفيرين البروتينية، كما أن هذه الطرق قد تتسبب في تمزق الجلطات، ما يؤدي إلى انسدادات متكررة في الأوعية الدموية، لكن جهاز "ميللي سبينر" يعمل بشكل مختلف كليًا، فهو لا يكسر الجلطة بل يضغط عليها مثل القطن، مُقلصا حجمها بنسبة تصل إلى 95 في المئة.

> المطورون يرون أن التقنية قد تفتح آفاقا جديدة لعلاج حالات مثل السكتات الدماغية والنوبات القلبية والانسداد الرئوي

وتعتمد آلية عمل الجهاز على قوى الضغط والقص، حيث يقوم أثناء دورانه بسحب الجلطة نحوه، ويعصر منها خلايا الدم الحمراء، ويُكثف شبكة الفيبرين المتبقية في الخثرة، بعد ذلك يُمكن إزالة البقايا الكثيفة المتبقية بسهولة باستخدام تقنية الشفط التقليدية.

وفي سلسلة من التجارب المخبرية والحيوية نجح الجهاز في إزالة جلطات يصل طولها إلى 17 ملم خلال 8 إلى 15 ثانية فقط، مع ضمان استعادة انسيابية الأوعية الدموية بالكامل من المحاولة الأولى، وأثبتت التقنية فاعليتها في نماذج تحاكي شرايين الرئة والدماغ، وكذلك في تجارب أجريت على خنازير حية، ولم تُسجَّل حالات تلف في الأوعية الدموية أو انسدادات متكررة (صِمات) في أي تجربة من هذه التجارب.

ويرى مطورو هذا الجهاز أنه قد يفتح آفاقا جديدة لعلاج حالات خطيرة مثل السكتات الدماغية والنوبات القلبية والانسداد الرئوي، ويشيرون إلى أن أهم ميزاته سهولة الاستخدام وملاءمة أنواع مختلفة من الأوعية الدموية، وتقليل مخاطر المضاعفات الناجمة عن عمليات إزالة الجلطات من الجسم.

وجلطة الدم هي كتلة هلامية تتشكل عندما يتحول الدم من سائل إلى صلب ما يساعد على وقف الجروح. ورغم أن التجلط ضروري لالتئام الجروح إلا أن الجلطة الداخلية لا تذوب طبيعيا وتعيق تدفق الدم ما يؤدي إلى مخاطر جسيمة، وإذا تشكلت جلطة دموية في الأوردة والشرايين فقد تسبب حالات تهدد الحياة مثل تخثر الأوردة العميقة أو السكتة الدماغية.

ويمكن أن تتشكل جلطات الدم بسبب الإصابة أو داخل الأوعية الدموية دون وجود محفز واضح. ويمكن لهذه الجلطات أن تنتقل وتسبب الضرر. وفي بعض الأحيان تتشكل دون سبب واضح.

ويتمثل العلاج التقليدي في تفتيت الجلطات الخطيرة داخل الأوعية الدموية. وللقيام بهذا العلاج يحقن الطبيب الأدوية المذيبة للتجلط في الأوعية الدموية. وفي بعض الحالات تتدفق الأدوية خلال مجرى الدم حتى تصل إلى الجلطة وفي حالات أخرى يوجه الطبيب المعالج أنبوبا طويلا رفيعا، يسمى القسطرة، يمرره من خلال الأوعية الدموية إلى المنطقة المتجلطة، وقد يحمل طرف القسطرة ملحقات خاصة لتفتيت الجلطات، ثم تقوم القسطرة بتوصيل الدواء أو يتم تكسير الجلطة ميكانيكيا.

وعادة ما يستخدم علاج التجلط لمعالجة السكتة الدماغية، أو ما يسمى تجلط أحد الأوعية الدموية في الدماغ.

وكان علماء في جامعة طوكيو قد طوروا تقنية جديدة تستخدم الذكاء الاصطناعي لمراقبة الصفائح الدموية داخل مجرى الدم، قد تُحدث تحولا كبيرا في تشخيص أمراض القلب والوقاية من الجلطات الدموية.

وأعلن الفريق البحثي بقيادة الدكتور كازوتوشي هيروسي عن ابتكار أداة تعتمد على ميكروسكوب فائق السرعة ومدعوم بالذكاء الاصطناعي، وهي قادرة على التقاط آلاف الصور لخلايا الدم أثناء تدفقها، ثم تحليلها بذكاء لتحديد نمط حركة الصفائح وتجمعها.

الميكروسكوب المتطور يعمل ككاميرا عالية السرعة، ترصد حركة الصفائح الدموية تماما، كما تراقب الكاميرا السيارات على الطريق.

وأوضح البروفيسور كيسوكي غودا من قسم الكيمياء في الجامعة أن هذه التقنية تتيح للأطباء "رؤية الصفائح الدموية وهي تتفاعل وتلتصق ببعضها البعض بشكل مباشر،" ما يوفر فهما أكثر دقة لحالة المريض.

وعند اختبار الأداة على أكثر من 200 مريض وجد الباحثون أن أولئك الذين يعانون من أمراض قلبية حادة، أظهروا نشاطا أعلى في تجمع الصفائح، وهو مؤشر مهم على خطورة حالتهم.

والمثير في الأمر أن تحليل عينة دم بسيطة مأخوذة من وريد الذراع أظهر نتائج قريبة جدا من الدم المسحوب من شرايين القلب، وهو ما يفتح الباب أمام الاستغناء عن الإجراءات التقليدية.

ويشير الخبراء إلى أن الجلطات الدموية تعد أحد أبرز الأسباب المؤدية إلى المضاعفات الصحية الخطيرة، باعتبارها تتضمن تكوُّن مادة هلامية تمنع تدفق الدم عبر الأوعية الدموية، وهو ما قد تنتج عنه عواقب مميتة، ويتزايد معدل الإصابة بالجلطات بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة، ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل، أبرزها قلة النشاط البدني والنظام الغذائي غير الصحي الغني بالدهون.

وتعتبر الجلطات الدموية أمراضا خطيرة يمكن أن تؤدي إلى الوفاة أو إلى إعاقات دائمة، ويمكن أن تحدث هذه الجلطات بشكل مفاجئ، ولذلك من الضروري أن يكون لدى الأفراد الوعي بعلاماتها الدالة، حيث تتطلب الحالة الطبية العاجلة زيارة الطبيب فور اكتشاف أي عرض من الأعراض المتعلقة بهذه الجلطات. كما أن للحفاظ على نظام غذائي متوازن وممارسة النشاط البدني بانتظام دورا فعّالا في الحفاظ على صحة الجسم والتقليل من احتمالات الإصابة بالجلطات الدموية.

باحثون أميركيون يطورون أصغر جهاز لتنظيم إيقاع ضربات القلب

نيويورك - طور باحثون بجامعة نورثويسترن الكائنة بالقرب من شيكاغو، جهازا منظما لإيقاع ضربات القلب صغيرا للغاية، وهو اختراع علمي جديد يمكن أن يسهم بدور كبير في مستقبل الطب، وفقا لما يقوله المهندسون الذين طوروه.

وأوضح الباحثون أنه يمكن أن يكون مفيدا مستقبلا لحالة الأطفال، الذين يعانون من عيوب خلقية في القلب بالإضافة إلى البالغين.

وقال إيجور إيفيموف أخصائي العلاج التجريبي للقلب بجامعة نورثويسترن، والذي شارك في الإشراف على الدراسة، "أعتقد أن هذه التقنية مثيرة للاهتمام بدرجة كبيرة، ومن شأنها أن تغير طريقة تنفيذ التحفيز الكهربائي للقلب".

ولا يحتاج إدخال الجهاز إلى جراحة فيمكن إدخاله عن طريق قسطرة أو سرينجه، ثم يتم وضعه في القلب أو عليه ويتم ربطه، بجهاز صغير آخر يشبه اللصقة يوضع على صدر المريض.

وعندما يرصد الجهاز الموضوع على صدر المريض حدوث دقات غير منتظمة في القلب، تنبعث منه نبضات ضوئية إلى داخل الصدر، تقوم بتنشيط جهاز منظم الضربات، وتتيح تحفيزا كهربائيا للقلب.

وتم تصميم الجهاز للمرضى الذين يحتاجون إلى منظم لضربات القلب لفترة مؤقتة، حيث أنه يذوب تلقائيا داخل جسم المريض، عندما لا تكون هناك حاجة إليه

وكان المهندسون يفكرون في البداية في تصميم الجهاز، لمساعدة الأطفال الذين يعانون من عيوب خلقية في القلب.

> الجهاز يمكن أن يكون مفيدا مستقبلا لحالة الأطفال، الذين يعانون من عيوب خلقية في القلب بالإضافة إلى البالغين

ويوضح إيفيموف أن بعض البالغين يحتاجون أيضا، إلى أجهزة تنظيم ضربات القلب لفترة مؤقتة، مثلا بعد إحلال صمام للأورطي أو بعد إجراء جراحة لتحويل مسار الشريان التاجي.

في مثل هذه الحالات يجب على الجراحين في الوقت الحالي، أن يخيطوا غالبا سلكا على القلب متصل بعلبة خارجية، توصل تيارا كهربائيا للتحكم في إيقاع ضربات القلب.

ويولد في الولايات المتحدة قرابة 40 ألف طفل سنويا بعيوب خلقية في القلب، وتشير بيانات مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، إلى أن نحو ربع أولئك الأطفال "يحتاجون بشكل عام لإجراء عمليات جراحية، أو اتخاذ تدابير أخرى خلال أول عام لهم في الحياة".

ويحتاج أولئك الأطفال الصغار بعد إجراء العمليات الجراحية، إلى جهاز لتنظيم ضربات القلب لمدة حوالي أسبوع، في الوقت الذي تتماثل فيه قلوبهم للشفاء.

الخبراء يتوصلون إلى عامل يقلل خطر الإصابة بالخرف

واشنطن - تساهم عوامل مثل ارتفاع ضغط الدم والسكري والتدخين، في ما يصل إلى 44 في المئة من حالات الخرف، وفق ما أظهرت دارسة جديدة أنجزتها كلية جونز هوبكنز بلومبيرغ للصحة العامة، بينت أن الوقاية من الخرف ممكنة قبل سن الثمانين عبر التدخل المبكر في عوامل الخطر الوعائية الشائعة.

وأكدت الدراسة التي نشرت مؤخرا في مجلة "جاما نيرولوجي"، أن الحفاظ على صحة الأوعية الدموية في أواخر العمر يقلل بشكل كبير من خطر الإصابة بالخرف.

وقال الباحثون إنه مع تصاعد معدلات الخرف عالميا، يظل فهم أصول المرض محدودا، ما يصعب جهود الوقاية. ويُعتقد أن مرض تصلب الشرايين الدماغي الصغير، الناتج عن تلف الأوعية الدموية الصغيرة في الدماغ، يلعب دورا رئيسيا في هذه الحالة. ويؤدي تضيق أو انسداد هذه الأوعية إلى نقص إمداد الأكسجين لخلايا الدماغ، ما يسبب تلفها.

وأكد الباحثون أن تشابه أعراض المرض المبكرة مع علامات التقدم في السن، مثل ضبابية الذهن ونسيان الأسماء، يعيق التشخيص المبكر، مشيرين إلى أن ما يزيد من تعقيد الأمر، هو التداخل الشائع بين إصابات الأوعية الدموية وأمراض الزهايمر، ما يجعل من الصعب تحديد مدى تأثير السيطرة على عوامل الخطر الوعائية في الوقاية من الخرف.

وفي الدراسة، استخدم الباحثون تحليلا طويل الأمد شمل أكثر من 12 ألف شخص تتراوح أعمارهم بين 45 و74 عاما، من 4 مجتمعات أميركية، مع متابعة مستمرة لأكثر من 33 عاما.

وتبين أن نسبة الخرف المنسوبة لعوامل الخطر الوعائية تتصاعد مع التقدم في العمر، إذ بلغت 21.8 في المئة لمن هم بين 45 و54 عاما، و26.4 في المئة للفئة 64-55، و44 في المئة لمن هم بين 65 و74 عاما، في حين انخفضت هذه النسبة بشكل ملحوظ بعد الثمانين.

كما أظهرت الدراسة ارتفاعا في نسب الإصابة بين غير الحاملين للجين "إيه بي أو أي 4" مرتبط بزيادة خطر الإصابة بمرض الزهايمر، والذين يعتبرون أقل عرضة جينيا للمرض، وكذلك بين المشاركين ذوي البشرة السوداء والنساء، حيث بلغت النسب 61.4 في المئة (لمن تتراوح أعمارهم بين 65 و74 عاما) و52.9 في المئة و51.3 في المئة على التوالي.

وخلص الباحثون إلى أن الحفاظ على صحة الأوعية الدموية في أواخر العمر، من خلال التحكم في عوامل الخطر القابلة للتعديل، يمكن أن يقلل بشكل كبير من خطر الإصابة بالخرف قبل سن الثمانين.

ويحدث الخَرَف بسبب تلف الخلايا العصبية وروابطها في الدماغ أو فقدانها. تتوقف الأعراض على المنطقة المصابة من الدماغ. وتتباين آثار الخرف من مريضٍ لآخر.

وتُصنَّف أنواع الخَرف غالبا وفقا للخصائص المشتركة بينها، فقد يُعد هذا التصنيف بناء على ترسبات البروتين أو البروتينات في الدماغ في جزء منه. كما يُشار إلى أنه تتشابه أعراض الخَرَف مع عدد من الأمراض الأخرى. وقد يسبب تناول أنواع معينة من الأدوية حدوث تفاعل تصاحبه أعراض مماثلة لأعراض الخَرَف. وقد تظهر على الشخص أعراض الخَرَف أيضا إذا لم يتضمن نظامه الغذائي قدرا كافيًا من فيتامينات أو معادن معينة. وفي هذه الحالات، قد يساعد العلاج في تحسُّن أعراض الخرف.

الحفاظ على صحة الأوعية الدموية ضروري

حلوى «جولي رانشر» الأميركية تزيد من خطر الإصابة بالسرطان

لندن - يصنف خبراء التغذية في لندن حلوى "جولي رانشر" على أنها غير آمنة، حيث دعت "هيئة معايير الغذاء" المستهلكين في بريطانيا إلى عدم شراء حلوى غير آمنة قد تزيد من خطر الإصابة بالسرطان.

وقالت الهيئة، إن حلوى "جولي رانشر" تحتوي على زيوت معدنية، وهي مضاف غذائي من الممكن أن يسبب مخاطر صحية في حال تم استهلاكه بانتظام لفترة طويلة.

يشار إلى أن المركبات الكيميائية الموجودة في المنتجات: الهيدروكربونات العطرية بالزيوت المعدنية؛ والهيدروكربونات المشبعة بالزيوت المعدنية؛ تستخدم في صناعة الحلويات لمنع الالتصاق وإضفاء مظهر لامع، ولكنها لا تتوافق مع القانون البريطاني.

وتعمل شركة "هيرشي" الأميركية، صاحبة العلامة التجارية، مع "هيئة معايير الغذاء" لسحب جميع منتجات "جولي رانشر" من السوق البريطانية منذ عام 2024، إلا أن بعض الشركات في بريطانيا لا تزال تستورد منتجاتها، بحسب الهيئة.

و"جولي رانشر" واحدة من أشهر العلامات التجارية للحلوى وأكثرها رغبة، وهي معروفة بألوانها النابضة بالحياة ونكهاتها الفاكهية المكثفة. كانت هذه الحلوى الصلبة من الأطعمة المفضلة للأطفال والكبار على مدار عقود من الزمان. ومع ذلك، إلى جانب شعبيتها، يرى الخبراء أن مخاطرها المحتملة، إضافة إلى خطر الاختناق، إمكانية تسببها بمرض السرطان.

وتوصل الخبراء إلى أن هناك علاقة وثيقة بين كمية الدهون المستهلكة في الطعام ونسبة الإصابة بالسرطان، كما أثبتت الدراسات والأبحاث العلمية وخاصة سرطان الثدي والقولون والبروستاتا. ولقد وجد أن أعلى معدلات نسب الإصابة بسرطان الثدي تكون بين السيدات اللاتي تتميزن بارتفاع استهلاك الدهون في الغذاء، وتقل نسب الإصابة في الدول الأقل استهلاكا للدهون في الغذاء. ومن الطرق الجيدة التي تقلل كمية الدهون في الغذاء، عدم الإفراط في السكريات لأن الزيادة منها تتحول إلى دهون.

> حلوى «جولي رانشر» تحتوي على زيوت معدنية، وهي مضاف غذائي يسبب مخاطر صحية في حال تم استهلاكه بانتظام

وتساعد الفواكه والخضروات والحبوب الكاملة التي تمد الجسم بمجموعة كبيرة من العناصر الغذائية والمركبات الكيميائية النباتية، على الوقاية من السرطان، مثال ذلك مركبات مادة الأليل سلفايد الموجودة في الثوم والبصل، ومادة السلفورافان الموجودة في البروكلي، وهناك العديد من هذه المركبات موجودة في الخضروات مثل السلق والبقدونس والفجل والكرنب، وتوجد هذه المركبات في الفواكه مثل حمض الأليجك الموجود في العنب والفراولة والتوت والكريز والمكسرات، وأيضا الفينولات الموجودة في الموالح والفراولة والكريز والشاي.

وهذه المركبات الموجودة في الخضروات والفاكهة والحبوب الكاملة تعمل على تنشيط بعض الإنزيمات الخاصة الموجودة بالجسم، فتعمل على التخلص من التأثير الضار للمواد المسببة للسرطان قبل وصولها إلى نواة الخلايا.

وبعض العناصر الغذائية مثل فيتامين "أ" وفيتامين "ج" وفيتامين "ه" والألياف والسيلينيوم تعتبر موادا مضادة للسرطان عندما تؤخذ بكميات مناسبة في الوجبات. وأثبتت الدراسات والأبحاث أن استهلاك الأطعمة العالية في محتواها من البيتاكاروتين الذي يتحول إلى فيتامين "أ" له علاقة بانخفاض معدل الإصابة بمعظم أنواع السرطان.

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

الوداد المغربي يؤمن بحظوظه في سباق مونديال الأندية

السوري عمر السومة يعزز صفوف الفريق البيضاوي

وصلت بعثة الوداد الرياضي المغربي إلى العاصمة الأميركية واشنطن، حيث تستعد لخوض منافسات كأس العالم للأندية 2025، وستبدأ البطولة في 14 يونيو الجاري وتستمر حتى 13 يوليو القادم. ويعتبر الوداد من بين ممثلي العرب في هذه البطولة ويتمنى أن يحقق نتائج إيجابية تعكس تاريخ النادي العريق ويسعى الفريق لتعزيز السمعة الطيبة للكرة المغربية على الصعيد الدولي وتقديم عروض شرفية للجماهير التي تسانده.

الرباط - يؤمن الوداد البيضاوي المغربي بحظوظه في مونديال الأندية لكرة القدم في الولايات المتحدة، رغم صعوبة مهمته في مواجهة مانشستر سيتي الإنجليزي ويوفنتوس الايطالي والعين الإماراتي. وشتان بين نسخة فريق الوداد البيضاوي في الأعوام الأخيرة حين كان يهابه الجميع محليا وقاريا، وبين نسخته في الموسم المنتهي عندما غيَّر جلده بشكل شبه كامل وانتزع المركز الثالث بصعوبة بالغة في الدوري المحلي بفارق شاسع عن البطل الصاعد بقوة نهضة بركان (16 نقطة).

> السومة يعد من أبرز المهاجمين العرب، وهو الهداف التاريخي للدوري السعودي، بعد مسيرة حافلة قضاها مع النادي الأهلي

وتوج "وداد الأمة" بلقبين من ألقابه الثلاثة في دوري أبطال أفريقيا في الأعوام الثماني الأخيرة (2017 و2022) خاض خلالها أربع مباريات نهائية (خسر 2019 و2023)، والتتويج الأخير هو الذي خوله المشاركة في المونديال الأميركي.

تغيير شبه كامل

لكن الفريق الأكثر تتويجا بالدوري في المغرب (22 لقبا) أجرى تغييرا شبه كامل على تشكيلته التي كانت تعج بالنجوم الدوليين في مقدمتهم قائده يحيى جبران وأيوب العملود ويحيى عطية الله وأبقى فقط على حارس المرمى يوسف المطيع والقائد المدافع الدولي جمال حركاس والجناح سيف الدين بوهرة والموريتاني عمار سيدي بونا.

وأخفقت سياسة رئيسه الجديد هشام أيت منا، في التعاقد مع مدرب صنداونز الجنوب أفريقي رولاني موكوينا من أجل إعادة النادي إلى سكة الألقاب، فاضطر إلى الانفصال عنه بالتراضي وتعيين المحلي محمد أمين بنهاشم خلفا له في أبريل الماضي، فقاده الأخير إلى العلامة الكاملة في مبارياته الثلاث الأخيرة من الدوري وبالتالي احتلال المركز الثالث.

"تشريف كرة القدم الوطنية أولا والدفاع عن تاريخ النادي في المحافل القارية والدولية" هذا ما قاله بنهاشم بخصوص الهدف من المشاركة في العرس العالمي بحلته الجديدة. وأضاف "الوداد يملك تاريخا مشرفا سواء محليا أو قاريا وهذا ما سندافع عنه في الولايات المتحدة مع الوضع في الاعتبار صعوبة المهمة أمام فرق عريقة خصوصا مانشستر سيتي الإنجليزي بتشكيلته المدججة بالنجوم ومدربه الكبير (الإسباني) بيب غواريديولا."

واستعد الوداد للمونديال بمباراتين وديتين خسرهما على أرضه بنتيجة واحدة (0 – 1) أمام إشبيلية الإسباني وبورتو البرتغالي. وقال بنهاشم عقب المباراة الودية الثانية "في المباراة الأولى (ضد إشبيلية) لم أضع خطة لعب واضحة للعب والمنافسة في مونديال الأندية لأنه كانت لدي إكراهات مثيرة في التركيبة البشرية."

وأضاف "اليوم وضعت الخطة التي نرغب في الاعتماد عليها في المونديال ولعبنا على المرتدات ونجحنا في بعضها، لكن خانتنا السرعة والتمريرة الأخيرة (الحاسمة)."

وتابع "أظهر اللاعبون طموحاتهم، مثل فهد موفى. هدفنا بعد هاتين المباراتين الوديتين هو استعادة التوازن ومحاولة إرضاء جماهير الوداد، وحتى جماهير المغرب. تماما كما فعل المنتخب الوطني الذي وصل إلى نصف نهائي كأس العالم 2022،" مضيفا "لمَ لا نحلم؟"

وأردف قائلا "مستقبلا سنكون أحسن مع الانتدابات الجديدة هناك خصاص (نقص) كبير ونشتغل على ملئه. هناك إكراهات بينها لاعبون لا يزالون مع أنديتهم ولم يتم تسريحهم حتى الآن ولاعبون نحن لا نزال في مفاوضات معهم وسيكون هذا الأسبوع حاسما في الانتدابات التي سنتممها لمرافقتنا في المونديال."

وتعاقد الوداد مع خمسة لاعبين هذا الصيف في مقدمتهم الدولي السابق نورالدين أمرابط وقلب الدفاع الهولندي بارت مايرس قادما من فريق بوراتس بانيا لوكا البوسني والمهاجم البوركينابي عزيز كي من يونغ أفريكانز التنزاني ولاعب وسط الفتح الرباطي حمزة الهنوري، وأخيرا المهاجم السوري المخضرم عمر السومة.

وأوضح بنهاشم "مستوانا يتحسن شيئا فشيئا. يجب أن نصل سريعا إلى مستوى فني مناسب، ولكن أيضا مستوى يتماشى مع إمكانياتنا."

ويستهل الوداد مشواره بمواجهة مانشستر سيتي في 18 يونيو الحالي على ملعب لينكولن فاينانشال فيلد في فيلادلفيا على أمل الخروج بأقل الأضرار، قبل أن يلتقي مع يوفنتوس في 22 منه على الملعب ذاته في محاولة لاستغلال تراجع مستوى فريق "السيدة العجوز" في المواسم الأخيرة، ثم ينهي الدور الأول بلقاء العين في 26 الحالي على ملعب أودي فيلد في واشنطن في قمة عربية قد تكون حاسمة بالنسبة إلى كليهما في بلوغ ثمن النهائي في حال نجح أيّ منهما في خطف نقاط في مباراتيه الأوليين ضد العملاقين الإنجليزي والإيطالي.

حضور متميز

مسيرة حافلة

وورد اسم السومة ضمن قائمة لاعبي الوداد على الصفحة الخاصة للبطولة في موقع الاتحاد الدولي (فيفا). ونشر حساب النادي المغربي على فيسبوك، مقطعا ترويجيا للإعلان المنتظر، يظهر ظلا للسومة يؤدي التحية العسكرية في إشارة إلى احتفاله الشهير من دون الكشف عن تفاصيل. وقال السومة لبرنامج "أكشن مع وليد" على قناة أم بي سي "وقعت عقدا مع العروبة (السعودي) لمدة ستة أشهر وانتهى. لا أملك عروضا رسمية من الأندية السعودية لكن هناك كلام مع أكثر من ناد."

وعمّا إذا كان سيشارك مع الوداد في مونديال الأندية، أضاف "سأشارك في مونديال الأندية لكن ليس بمقدوري ذكر اسم النادي."

وجاء انتقال السومة (36 عاما) ضمن سوق الانتقالات الخاصة بالأندية المشاركة في مونديال الأندية، وذلك بعد انتهاء عقده مع العروبة السعودي قادما من العربي القطري. واستهل السومة مسيرته مع الفتوة السوري قبل أن ينتقل إلى القادسية الكويتي. وبعدها انتقل إلى الأهلي السعودي ليحقق معه الكثير من الإنجازات خلال ثمانية مواسم من ضمنها الفوز بالدوري موسم 2016.

والتحق هداف الدوري السعودي ثلاث مرات بمعسكر الوداد في الولايات المتحدة، وذلك تمهيدا لانضمامه للتدريبات تحت إشراف المدرب محمد أمين بنهاشم. ويُعد السومة من أبرز المهاجمين العرب، وهو الهداف التاريخي للدوري السعودي، بعد مسيرة حافلة قضاها مع النادي الأهلي قبل انتقاله لاحقا إلى العروبة.

سباق كندا سبيل الهولندي ماكس فيرستابن للقب رابع قياسي

مونتريال - يتطلع سائق ريد بول الهولندي ماكس فيرستابن، بطل العالم للأعوام الأربعة الماضية، للفوز بسباق جائزة كندا الكبرى للعام الرابع تواليا في إنجاز غير مسبوق، واختتام نهاية الأسبوع دون أيّ أخطاء، لتلافي الحصول على عقوبة بعد الهفوة التي ارتكبها في إسبانيا قبل أسبوعين.

ويتقاسم سائق فيراري الحالي البريطاني لويس هاميلتون والأسطورة الألماني مايكل شوماخر الرقم القياسي لعدد الانتصارات (7 لكل منهما)، لكن من دون أن ينجحا في إحراز المركز الأول 4 مرات تواليا والاكتفاء بثلاثية فقط، وذلك حين هيمن "السير" على السباق أعوام 2015 و2016 و2017، وفاز "البارون الأحمر" أعوام 2002 و2003 و2004.

ويدرك "ماد ماكس" جيدا أنه لم يعد يملك ترف ارتكاب أيّ خطأ عندما يخوض سباق الأحد في مونتريال، إذ في حال حصل على عقوبة على رخصته القيادية (سوبر لايسنس)، سيغيب تلقائيا عن جائزة النمسا الكبرى في وقت لاحق من هذا الشهر. وهذا، وفقا لمستشار ريد بول هيلموت ماركو سيكون "بمثابة كارثة".

قال النمساوي لموقع "سبيدويك. كوم" "لا ينبغي (فيرستابن) أن يرتكب أيّ شيء خطأ خلال سباقين على التوالي، وبالطبع سيتم إبلاغه بعدم القيام بأيّ شيء متهور." وتعرض ابن الـ27 عاما لعقوبة في حلبة كاتالونيا بعدما اصطدم بسائق مرسيدس البريطاني جورج راسل عندما حاول الأخير تجاوزه، علما أن الهولندي يحتل المركز الثالث في ترتيب السائقين برصيد 137 نقطة خلف سائقي ماكلارين الأسترالي أوسكار بياستري المتصدر والبريطاني لاندو نوريس مع 186 و176 نقطة تواليا.

وأقرّ الهولندي أن ما حدث "كان حادثا متعمدا وكان ينبغي ألا يحدث" عقب السباق الذي فاز به بياستري (24 عاما) بقدرة فائقة من ضبط النفس، ولكن يتعيّن عليه الآن خوض سباقين من دون ارتكاب أيّ خطأ قبل أن يتم تخفيض إجمالي النقاط على رخصته.

قال فيرستابن "كان سباق برشلونة مخيبا للآمال بالنسبة إلينا". وأضاف "مع أننا بذلنا قصارى جهدنا، إلا أنها لم تكن النتيجة التي كنا نتمناها للسباق..".

وتابع "نتطلع إلى كندا. الحلبة فريدة من نوعها وتضم بعض المنعطفات التقليدية وفرصا وفيرة للتجاوز."

قد تكون العودة إلى حلبة تتطلب سرعات عالية حيث تُختبر المكابح إلى أقصى حد، أمرا مرحبا به بالنسبة إلى فيرستابن في سعيه مع فريقه ريد بول إلى إبطاء تقدم فريق ماكلارين في سباق اللقب.

ولا تسرّ حالة فريقي مرسيدس وفيراري حتى المنافسين، إذ يسعيان على حلبة جيل فيلنوف لتحقيق باكورة انتصاراتهما هذا العام، في حين سيحصل ابن البلد لانس سترول (أستون مارتن) العائد إلى حلبات السرعة بعدما غاب عن الجولة الماضية بسبب تدخل طبي لتقليل آلام المعصم واليد، على دعم الجماهير المحلية. وقال البريطاني جيمس أليسون المدير التقني لمرسيدس "هي حلبة لطالما حققنا عليها أداء جيدا في الماضي، وأنا أتطلع إليها بشوق. لدينا بعض التعديلات الجديدة التي سنجربها، وسنرى كيف ستسير الأمور."

غاب فريق "الأسهم الفضية" عن العتبة الأولى لمنصات التتويج منذ سباق جائزة لاس فيغاس الكبرى العام الماضي (23 نوفمبر)، في حين أن ماكلارين، بالنظر إلى هيمنته الحالية، لم يفز في كندا منذ عام 2012 عندما حقق سائقه هاميلتون، بطل العالم سبع مرات، أحد انتصاراته القياسية السبعة التي يتقاسمها مع شوماخر.

فازت الحظيرة الإيطالية فيراري التي تحظى دائما بدعم الجماهير، آخر مرة في مونتريال عام 2018 لكنها ستحتاج إلى بعض الحظ لضمان نجاح آخر على الرغم من أن الحلبة ابتسمت كثيرا لسائقها الحالي هاميلتون الذي حقق باكورة انتصاراته في عام 2007.

> حالة فريقي مرسيدس وفيراري لا تسر حتى المنافسين، إذ يسعيان على حلبة جيل فيلنوف لتحقيق باكورة انتصاراتهما هذا العام

قطر تفتتح كأس العالم للناشئين تحت 17 عاما بمواجهة إيطاليا

الدوحة - يزيح منتخب قطر الستار عن بطولة كأس العالم للناشئين تحت 17 عاما التي يستضيفها على أرضه بملاقاة منتخب إيطاليا. وتقام البطولة في قطر خلال الفترة من 3 إلى 27 نوفمبر المقبل، ويشارك فيها 48 منتخبا وذلك للمرة الأولى في تاريخ الحدث العالمي. وأعرب راشد الخاطر، المدير التنفيذي للعمليات باللجنة المنظمة لكأس العالم تحت 17 سنة في قطر، عن سعادته باحتضان قطر لحدث عالمي آخر، منوها بأن جميع المباريات سوف تقام في ملاعب أكاديمية أسباير الرياضية، المشيدة وفق أعلى المواصفات العالمية وبما يتوافق مع متطلبات الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، فيما تقام المباراة النهائية في ملعب خليفة الدولي، أحد الملاعب المونديالية الذي استضاف منافسات كأس العالم 2022 في قطر.

وأضاف الخاطر "يسرنا استضافة المهرجان الكروي الذي سيشكل احتفالية رياضية لا تقتصر على إقامة مباريات في كرة القدم، بل منصة جامعة للشعوب. سنكون على موعد مع نسخة فريدة نشهد فيها العديد من الأنشطة في مناطق المشجعين النابضة بالحياة، التي ستضم باقة من الفعاليات الترفيهية والثقافية للاستمتاع بأجواء كرنفالية إلى جانب متابعة المباريات."

وكانت قرعة البطولة أوقعت قطر، البلد المضيف، في المجموعة الأولى إلى جانب إيطاليا، وجنوب أفريقيا، وبوليفيا. ويضع عنابي الناشئين نصب عينيه التفوق على الإنجاز التاريخي الذي سجله في نسخة العام 1991 عندما حقق المركز الرابع. وأكد ألفارو بيريز، مدرب منتخب قطر تحت 17 سنة، أن استضافة دولة قطر لخمس نسخ متتالية من كأس العالم للناشئين، يشكل فرصة رائعة للاعبين لتطوير مهاراتهم والارتقاء بمستوى الفرق، كما يعكس قدرة دولة قطر التي تمضي بخطى ثابتة في تعزيز مكانتها كوجهة مفضلة لاستضافة البطولات والأحداث الرياضية الكبرى على مستوى العالم.

> عنابي الناشئين يضع نصب عينيه التفوق على الإنجاز التاريخي الذي سجله في نسخة العام 1991 عندما حقق المركز الرابع

وقال "تتيح هذه البطولة فرصة فريدة لخوض منافسات أمام عدد من أفضل منتخبات كرة القدم في العالم. ويتميز هذا النوع من البطولات بتأثير ملموس على تطوير مهارات اللاعبين، كما يشكل منصة لاستكشاف الجيل المقبل من نجوم الساحرة المستديرة. نترقب انطلاق الحدث الرياضي الذي سيحقق نجاحا مبهرا لا يقل شأنا عن البطولات التي شهدتها الدولة سابقا."

من جانبه، أوضح فيلا كومالو، مدرب منتخب جنوب أفريقيا للناشئين، والذي سيلعب ضمن المجموعة الأولى إلى جانب قطر، أن البطولة في غاية الأهمية "وتحمل في طياتها الكثير لمجتمع كرة القدم في العالم، وهو ما شكل حافزا للعمل الجاد وبذل أقصى الجهود من قبل اللاعبين والجهاز الفني لمنتخب جنوب أفريقيا تحت 17 سنة، للتأهل والمشاركة في الحدث الرياضي العالمي، حيث يشارك منتخب الأماجيمبو للمرة الثانية في كأس العالم تحت 17 سنة بعد مشاركته الأولى عام 2015."

وتابع كومالو "يوفر لنا الحدث الرياضي مساحة للاحتكاك مع لاعبين من مختلف المنتخبات من حول العالم، وتحسين مهارات وقدرات لاعبينا. ولهذا السبب حرصنا على التأهل للبطولة التي تشكل مبادرة رائدة من الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) ودولة قطر، حيث تسلط الضوء على النجوم الصاعدين، وترتقي بمستوى المنتخبات المشاركة، كما تعزز مشهد كرة القدم العالمية."

طموحات كبيرة

العرب
الجمعة 2025/06/13
السنة 48 العدد 13513

فسيفساء دمشق الخشبية.. زخرفة في قبضة النسيان

في قلب دمشق القديمة، يواصل عدد من الحرفيين، وعلى رأسهم عائلة الحموي، الحفاظ على فن الفسيفساء الخشبية العريق، رغم التحديات الاقتصادية والاجتماعية، وسط مخاوف من اندثاره بسبب غياب اهتمام الأجيال الجديدة بتعلم هذه الحرفة.

فن يتنفس الصبر

دمشق - رغم كل المصاعب، يحرص حرفيون في دمشق على الحفاظ على فن الفسيفساء الخشبية الذي يجسد الروح الجمالية والإرث الفني للمدينة، وسط مخاوف من انقراض المهنة بسبب غياب الاهتمام من الأجيال الجديدة بتعلمها.

وتعد العاصمة السورية دمشق، مركزًا لفن الفسيفساء الخشبية منذ قرون.

ويعود هذا الفن اليدوي العريق إلى الحقبة العثمانية، وقد زين القصور والمساجد والبيوت والقباب، مخلفًا آثارًا جمالية في الهوية المعمارية للمدينة.

وتمكنت الفسيفساء الخشبية، التي تظهر فيها جليا أناقة الفن الإسلامي الهندسي، من تحويل الخشب إلى مرآة تعكس روح دمشق الجمالية وإرثها المعماري. وقد انتقلت هذه الحرفة يدويًا من جيل إلى آخر عبر علاقة المعلّم بالتلميذ، وظلت تُمارس على مدى قرون بالصبر والعمل اليدوي المتقن.

ويتم تركيب قطع صغيرة من أنواع خشبية مختلفة بدقة متناهية على هيئة أنماط هندسية، ثم تُزيّن بإضافات من عرق اللؤلؤ، لتتحول في النهاية إلى صناديق وكراسي وطاولات وصناديق مجوهرات وإطارات مرايا تجمع بين القيمة الوظيفية والفنية.

وتنتشر الورش التقليدية لفن الفسيفساء الخشبية في دمشق خاصة في أحياء المدينة القديمة مثل باب شرقي وباب توما والميدان. وفي هذه الورش، يبذل الحرفيّون جهودًا تمتد لأيام بل لأشهر لإنتاج قطعة واحدة تُعد عملًا فنيًا متكاملًا.

وتُعد عائلة الحموي، التي تعمل في ورشتها الواقعة في باب توما، من آخر العائلات التي تحافظ على هذه المهنة.

وينتمي الأخوان الحموي إلى عائلة دمشقية مسيحية، وقد دأبا منذ نحو 60 عامًا على العمل معًا في الورشة نفسها التي ورثاها عن والدهما، محافظَين بذلك على المهنة.

لكن الصعوبات التي تواجه الحرفيّين اليوم لا تقتصر على الجانب الاقتصادي فقط، إذ تؤدي الانقطاعات المتكررة للتيار الكهربائي أيضًا إلى تعطل العمل.

وتكمن أكبر مخاوف الحرفيّين في غياب جيل جديد يتعلّم هذه المهنة، إذ يُعد عزوف الشباب عن تعلمها أبرز تهديد يواجه مستقبل هذا الفن العريق.

الأخوان الحموي، اللذان يسعيان للحفاظ على فن الفسيفساء الخشبية التقليدية في دمشق، تحدثا لمراسل الأناضول عن تفاصيل هذه المهنة، والمشكلات الحالية التي يواجهونها، وجهودهم في الحفاظ على هذا الإرث الثقافي.

وأوضح إيلي الحموي، البالغ من العمر 66 عامًا، أنه ورث المهنة من والده، لكنه اشتكى من عزوف ولديه عن تعلمها.

وقال: "ورثت هذه المهنة من والدي، وأمارسها منذ أن كنت في الثانية عشرة من عمري. والدي حافظ على هذه المهنة طيلة 80 عامًا، وأنا أعمل مع إخوتي في هذه الورشة منذ أكثر من 60 عامًا، تعلمنا باستمرار وتطورنا. لدي ولدان، لكنهما لا يحبان العمل في هذه المهنة". وأكّد الحموي أن فن الفسيفساء الخشبية حرفة بالغة الصعوبة، قائلًا: "نقوم أولًا بتقطيع الخشب، ثم نتركه ليجف. ننتظر بين 3 و4 سنوات حتى يجف الخشب، بعد ذلك نقطعه بحسب المقاسات التي نحتاجها، ثم نبدأ بالعمل ونجهّز تصاميم القطعة التي سننفذها".

وتابع: "نواجه صعوبات في نقل هذه المهنة التي تحتاج إلى الكثير من الصبر والمشقة للأجيال القادمة. مهنتنا شرف لنا، ويجب أن نحافظ عليها ونطوّرها، لكن في هذه الفترة لا يوجد متدربون جدد، العائلات لا تسمح لأولادها بالدخول في هذه المهنة".

وأشار الحموي إلى أن عائلته تُعد من آخر العائلات التي تمارس هذه المهنة بالطرائق التقليدية اليدوية.

وأضاف: "أكبر مشكلة نواجهها هي انقطاع الكهرباء. لا أحد اليوم يمكنه مواصلة هذه المهنة، معظم الحرفيين هاجروا، ومن بقي توفي، أنصح الشباب بتعلّم هذه المهنة التي ستحقق لهم مستقبلًا جيدًا".

من جانبه، قال جهاد الحموي، الذي يعمل في هذه المهنة منذ عام 1980: "أعمل مع والدي وإخوتي في هذه الورشة. كل واحد منّا يقوم بجزء من العمل. أنا مثلًا أعمل على الصنفرة والتلميع وغير ذلك من المهام. حاليًا أضع طلاءً نهائيًا على تصميم معين. تعلمت أسرار هذه المهنة من والدي".

وأوضح الحموي أن المهنة لم تعد كما كانت في السابق، قائلًا: "في الماضي، كان التجار يقدّرون عملنا، أما اليوم فهم يريدون كل شيء بثمن زهيد".

وأضاف أن تجهيز قطعة واحدة من الطلبات التي يتلقونها قد يستغرق شهورًا، وأن "العمل اليدوي لا يُقدّر بثمن".

وتابع: "كانت مهنة الفسيفساء تحظى بتقدير أكبر في السابق. كان السياح القادمون إلى البلاد يُعجبون بجمال هذا الفن، ولم يكونوا يخفون إعجابهم، بل كانوا يلتقطون الصور معنا".

وختم جهاد الحموي حديثه بالإشارة إلى أنهم تلقوا عروضًا للعمل في الخارج، لكن والدهم رفض ذلك، مؤكدًا أنهم كانوا قبل عقود يصدرون منتجاتهم إلى مختلف دول أوروبا.

مزاد في لندن على رسالة حب كتبها جون لينون

لندن - تُعرض رسالة حب كتبها نجم فرقة البيتلز جون لينون لزوجته الأولى سينثيا باول، للبيع في المزاد قريبا، على ما أعلنت دار كريستيز للمزادات الخميس.

تُقدّر قيمة هذه الرسالة، المكتوبة في أبريل 1962، بسعر يراوح بين 30 و40 ألف جنيه إسترليني (ما بين 41 و54 ألف دولار)، وستُعرض في مزاد علني في التاسع من يوليو في لندن.

وقد صاغ جون لينون الرسالة عندما كان في سن الحادية والعشرين، بينما كانت الفرقة تُقيم في هامبورغ.

وكتب المغني في الرسالة "أحبك، أحبك، أحبك، وأفتقدك بشدة"، قبل أن يختتم كلامه بتلميح جنسي.

وأضاف "أرجوك انتظريني ولا تحزني، واعملي بجد".

يذكر لينون في الرسالة أيضا صديقه المقرب وعازف غيتار الباص الأول في فرقة البيتلز ستيوارت ساتكليف بعد أيام قليلة على وفاته، قائلا إنه فكّر في زيارة خطيبته أسترِيد قبل أن يغير رأيه.

في رسالته، أعرب لينون أيضا عن معارضته لخطط سينثيا لمشاركة منزل مع دوروثي رون، صديقة مكارتني آنذاك، كاتبا "لن نكون وحدنا أبدا".

كما انتهز الفرصة للشكوى من عادات صديقه بول مكارتني الليلية، متذمرا من إيماءاته... وشخيره.

التقت سينثيا باول وجون لينون خلال دراسة الفنون في ليفربول عام 1957، قبل وقت طويل من أن يصبح نجما لموسيقى الروك. وقد كانت في الثامنة عشرة من عمرها وهو في السابعة عشرة.

تزوجا عام 1962. لكن لينون ترك سينثيا ليتزوج يوكو أونو عام 1968.

في عام 2005، كشفت سينثيا في كتاب سيرة ذاتية بعنوان "جون" أنها كانت تتعرض للإساءة من لينون أحيانا، لكنها ظلت مفتونة بجاذبيته.

قضى جون لينون عام 1980 بعدما قتله مارك ديفيد تشابمان بالقرب من سنترال بارك.

جنات تنضم لقائمة «نوستالجيا فورها» في جدة

القاهرة - تستعد الفنانة المغربية جنات للقاء جمهورها من جديد، من خلال مشاركتها في حفل "نوستالجيا فورها" المقررة إقامته بمدينة جدة في 13 يونيو، وذلك بعد فترة من الغياب عن الحفلات المباشرة. ويجمع الحفل نخبة من نجوم الوطن العربي، بعضهم يعود للظهور بعد انقطاع، ليشكلوا معًا ليلة غنائية طربية مميزة.

وأعلنت جنات مشاركتها عبر حسابها الرسمي على إنستغرام، حيث نشرت مقطع فيديو من كواليس التحضيرات، وعلّقت: "تحضيرات الحفل في 13 يونيو، فورها نوستالجيا، حفلات جدة،" مشوّقة جمهورها لهذا الحدث الفني الكبير على أرض المملكة العربية السعودية.

وتأتي عودة جنات إلى المسرح بعد نجاحها اللافت في تقديم تتر مسلسل "الأميرة – ضل حيطة"، الذي عُرض في رمضان 2025، حيث لاقت الأغنية تفاعلا كبيرًا وحققت انتشارًا واسعًا بفضل كلماتها المؤثرة وأداء جنات المليء بالإحساس.

وكشفت الفنانة في تصريحات إعلامية عن تلقيها رسائل تهنئة من جمهور لم يسبق لها معرفتهم، معربة عن امتنانها لهذا النجاح، مشيرة إلى أن الأغنية من كلمات حسام طنطاوي، ألحان وتوزيع معتز أمين.

ويضم حفل "نوستالجيا فورها" عددًا من النجوم، منهم: مايا نصري، سامو زين، أحمد الشريف، فرقة واما، فرقة بلو العالمية، هيثم سعيد، ويوسف العماني، ليكون الجمهور على موعد مع سهرة فنية متنوعة تستحضر أجمل الذكريات الغنائية.

البصرة تحيي تراث الزوارق في العراق

البصرة (العراق) - عادت الزوارق التراثية التي كانت تجوب أنهار العراق قديما إلى مدينة البصرة، ضمن مبادرة محلية تُعرف بـ"مشروع الموروث الملاحي"، تهدف إلى إحياء التراث المائي العراقي.

وقد شارك في هذه المبادرة متطوعون وسكان محليون، حيث قادوا زوارق أُعيد ترميمها، مستوحاة من تصاميم تعود إلى حضارات وادي الرافدين القديمة، مستخدمين المجاديف في تسييرها.

وقالت هبة جودة من نادي البصرة للموروث الملاحي "تم اختيار هذا الموقع لتسليط الضوء بشكل أكبر على القوارب الملاحية وإعادة إحيائها بعد اندثارها منذ زمن بعيد، إذ كانت وسيلة نقل رئيسية في العصور البابلية والسومرية. بدأت هذه المبادرة بهدف إعادة هذه القوارب إلى الحياة وتعريف الناس بأهمية وسائل النقل القديمة."

وقد تأسس المشروع عام 2017، ويسعى إلى إحياء التراث الملاحي العراقي من خلال إعادة بناء نماذج من الزوارق التي كانت مستخدمة في الحضارات السومرية والبابلية، استنادا إلى مخطوطات ونصوص تاريخية قديمة.

وتُعرض بعض هذه القوارب والنماذج في متحف البصرة الحضاري (المعروف سابقا بالمتحف الوطني)، فيما يُتاح استخدام القوارب المعاد بناؤها في نادي البصرة للموروث الملاحي.

وقال نوفل عبدالحسن، أحد سكان البصرة، "كمواطن بصري وعراقي، أشعر بالفخر لرؤية مثل هذه المشاريع التراثية تُبعث من جديد. فمجرد ركوبنا في زورق كالمشحوف، نشعر بفرحة عارمة وكأننا نعيش زمن السومريين. السومريون والأكاديون والبابليون يشكلون تاريخا عظيما، ونتمنى أن نعيد إحياء هذا المجد التاريخي."

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

سيدي كاربنتي

لقربص مكانة في القلب، لا ينازعها عليها مكان آخر، رغم أنني زرتها مرتين فقط خلال وجودي في تونس، على مدى ربع قرن. وفي كل زيارة، كنت أمضي فيها ساعات معدودة، أتأمل جمالها الآفل وحسنها الذي كانت عليه يومًا، ثم أغادرها حزينًا، ليس بسبب الفراق، بل لأن هذه الجوهرة المتوسطية لم يُستغل من إمكانياتها أكثر من واحد في المئة على أعلى تقدير.

عندما تزور قربص لقضاء عدة أيام، بهدف العلاج الطبيعي أو الاستحمام بمياهها المعدنية، فأنت غالبًا ستقيم في فندق يُعرف اليوم باسم "رويال توليب قربص"، وهو فندق فاخر من فئة خمسة نجوم يقع بين خليج تونس وجبال قربص.

لهذا الفندق قصة تستحق التأمل: في عام 1916، حط رجل فرنسي الرحال في قربص ليقع في عشقها منذ اللحظة الأولى، تمامًا كما حصل معي، عندما وقعت في عشقها في أول زيارة برفقة الصديق عبداللطيف جاب الله، الذي شاهدني متلبسًا والدمع في عيني، وأنا أرى أجمل جوهرة في البحر المتوسط وقد لحق بها الإهمال.

لست إدموند لوكور كاربنتييه، رجل الأعمال الفرنسي الذي بادر فور نزوله في قربص ببناء أول فندق فيها، وهو نفس الفندق الذي يحمل اليوم اسم "رويال توليب" بعد أن جرى تحديثه. لست سوى موظف بسيط يتقاضى راتبًا شهريًا، لا يملك سوى قلمه يلفت بكتاباته الانتباه إلى هذا الكنز السياحي المهمل.

على العكس مني، أنا الموظف البسيط، إدموند كاربنتييه كان رجل أعمال ناجحًا له أنشطة في الصحافة، حيث أسس جريدة "لا ديبيش تونسيان"، وكان ناشرًا ومحررًا للعديد من المنشورات الرسمية في تونس، ساهمت في نشر القوانين والمعلومات التجارية والإدارية. وإلى جانب عمله الصحفي، شغل منصب رئيس شركة المياه المعدنية الطبيعية، كما كان مسؤولًا عن إدارة المياه الحرارية في قربص، وساهم في تطوير السياحة العلاجية في المنطقة.

يمكن القول دون أن نخشى الوقوع في المبالغات إن كاربنتييه نجح في وضع قربص على خارطة السياحة التونسية والأوروبية. ولم تستطع سنوات الإهمال الطويلة إخفاء ملامح الجمال التي كانت عليها البلدة، إلا أن هذا الموقع سرعان ما تراجع بعد وفاته.

في العقود التالية، ورغم استمرار شهرة قربص كموقع للعلاج الطبيعي، لم تتمكن البلدة من مواكبة التطورات الحديثة في قطاع السياحة، حيث هجرها المستثمرون لصالح سياحة الشواطئ والشمس، والتي يشار إليها في عالم السياحة بـ"سياحة المحالين للتقاعد ومحدودي الدخل"، للتركيز على المدن الساحلية الكبرى مثل سوسة والحمامات وجزيرة جربة.

وكما توقع البعض منكم، لم يُنقل جثمان إدموند كاربنتييه إلى فرنسا، بل دُفن وفق وصيته على قمة جبلية في قربص، وفي نفس البقعة دفنت زوجته جان، حفيدة ماري كوري.

وإذا كانت فرنسا قد منحته لقب فارس تقديرًا لجهوده، فإن قربص منحته لقبًا من المؤكد أنه كان سيفاخر به أكثر من أي لقب آخر، إنه لقب يعكس تقديرهم وإجلالهم له، لقب لا يُمنح في تونس إلا للأولياء الصالحين، "سيدي كاربنتي".

ومن منحدر مجاور للضريح يتدفق تيار من السيليكات تنزلق النساء العاقرات أسفله، داعيات إلى سيدي كاربنتي.. ويقال إنه يستجيب لهن.